



مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية

ISSN: 2617-5908



نداءات سورة الحجرات دراسة تحليلية(*)

إعداد

د/ عز الدين صالح مناري
الأستاذ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية
بجامعة أم القرى

(*) - تاريخ تسليم البحث ٢٠١٩/٩/٢١ م

تاريخ قبوله للنشر ٢٠١٩/١٠/١٢ م

ملخص البحث

هذا البحث: نداءات سورة الحجرات، يستهدف دراسة تلك النداءات وتحليلها بقصد استخراج الهدايات القرآنية التي فيها، وبيانها للناس إسهاما في التعريف بأسس جانب من المشكلات الاجتماعية التي تمزق نسيج المجتمع، وبيان معالم العلاج القرآني لتلك المشكلات وأسسها.

ويتضح من نتائج البحث أن صلاح الفرد والمجتمع من أهم مقاصد القرآن الكريم عموما وسورة الحجرات خصوصا، وأن نداءات سورة الحجرات تتجه إلى التحلية والتخلية في نفس الوقت، لتطهير المجتمع وتنمية خيريته. وقد بينت تلك النداءات جانبًا كبيرًا من ركائز البناء الاجتماعي في النفس والحياة، كما أنها وضعت عددًا من التحصينات الاجتماعية التي تمنع من تسرب الخلل إلى أساسات الفاعلية الاجتماعية وتعالج ما قد يتسرب منه في أحوال الضعف والاستخذاء.

وقد عينت النداءات بعض منافذ الهدم المجتمعي: كالغيبة والنميمة والتنازع والتجسس والسخرية.. كأمثلة دالة على غيرها، ليتنبه المجتمع وقواه الفاعلة إلى تلك الموارد السلبية فيستهدون بهدي القرآن في صدها أو معالجتها وأمثالها، ويحصنون المجتمع من تلك الأمراض بسياجات الخير والنجاح والقوة.

وهذه الهدايات لا تختص بزمن أو مكان وإنما هي هدايات مستمرة تقوم على تشخيص النفس والطبيعة الإنسانية التي لا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة.

ومن أهم ما بينته تلك النداءات أن الإسلام دين عالمي يمكن أن يقدم الخير للبشرية جمعاء بغض النظر عن أجناسهم ومعتقداتهم. وأنه الدين الذي يتسنى له توحيد البشرية وإصلاحها.

كلمات مفتاحية: نداءات، سورة الحجرات، السخرية، التعاون، التعارف

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه ولا تتقادم هداياته، فهو دستور صالح لكل زمان ومكان.

وإن مما ينبغي اقتباسه من القرآن الكريم: الهدايات التربوية السلوكية، ففيها صلاح للفرد والمجتمع، ومن أوضح السور بياناً للسلوكيات القومية الفردية والاجتماعية سورة الحجرات، فهي متضمنة لطائفة واسعة من الآداب الاجتماعية التي نحن بحاجة إلى إعمالها في حياتنا المعاصرة؛ ذلك لما نراه ونلاحظه في مجتمعاتنا اليوم من ابتعاد عن هدايات القرآن، بل لا نبعد إن قلنا بوجود انحراف عنها، وإن بمستويات متفاوتة. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث للإسهام في تنمية الإيجابية والفاعلية المثمرة، وللحد من السلبية والتمزق الاجتماعي.

وقد قصدت إلى سورة الحجرات بالدراسة والبحث لأساهم في بيان جانب مهم من هدايات القرآن الكريم على المستوى الفردي والاجتماعي، مبينا تلك الهدايات بما يدعو إلى صلاح الأمة الإسلامية وينشر جوانب الخير والفلاح فيها. وقد سميت بحشي هذا: نداءات سورة الحجرات دراسة تحليلية.

مشكلة البحث: ويمكن أن تتجلى مشكلة البحث فيما نراه اليوم في حياة الأفراد والمجتمع من تفشي موجبات التفرق والتناحر وانتشار أمراض اجتماعية قاتلة، من غير إحساس بالخطر أو بالإثم من كثير من الذين يمارسونها، ومن غير إنكار عليها من المطلعين أو المشاهدين لها.

أهداف البحث:

١. بيان جانب من الأمراض الاجتماعية التي سببت وتسبب تمزيق المجتمع وتفككه.
 ٢. بيان جانب من مقومات بناء المجتمع الصالح في هدي القرآن الكريم.
 ٣. الإسهام في معالجة جانب من المشكلات الاجتماعية البارزة.
- منهجية البحث:** يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي.
- خطة البحث:** قمت بتقسيم الخطة إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة.
- المقدمة وفيها:** أهمية البحث ومشكلته، وأهداف البحث ومنهجية البحث.
- المبحث الأول:** مدخل لدراسة النداءات في سورة الحجرات.
- المبحث الثاني:** النداءات في سورة الحجرات. وفيه ستة مطالب:
- المطلب الأول:** النداء الأول في سورة الحجرات.
- المطلب الثاني:** النداء الثاني في سورة الحجرات.
- المطلب الثالث:** النداء الثالث في سورة الحجرات.
- المطلب الرابع:** النداء الرابع في سورة الحجرات.
- المطلب الخامس:** النداء الخامس في سورة الحجرات.
- المطلب السادس:** النداء السادس في سورة الحجرات.

الخاتمة: فيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مدخل لدراسة النداءات في سورة الحجرات:

الدارس للإسلام يجد أنه قرر المسؤولية على الفرد وعلى المجتمع وفحوى هذه المسؤولية الإيمان بالله تعالى ومراقبته في القول والفعل، يقول تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ [ق: ١٨] ويقول تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة: ٧-٨] ويقول تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ [الإسراء: ٣٦] ويقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ [التحريم: ٦]. وهذه المسؤولية لها أساس ومقومات.

الأساس، وله جانبان:

أ- عبادة الله بمفهومها الشامل، إذ تجعل حياتك كلها لله تعالى، ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ [الأنعام: ١٦٢]، والنبي ﷺ يقول: «الإيمانُ بضعٌ وسبعون - أو بضعٌ وستون - شعبةٌ، فأفضلُها قولُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عَنِ الطَّرِيقِ، والحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١).
وقد عرف شيخ الإسلام ابن تيمية العبادة، فقال: «هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الباطنة والظاهرة»^(٢).

والعبادة لها مصدران:

الأول: الإخلاص: يقول تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ [البينة: ٥].
الثاني: الاتباع: يقول تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١] ويقول ﷺ: «تَرَكْتُ فيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُم بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»^(٣).
ب- الحاكمية لله تعالى: والقصد منها التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

المقومات، ولها ثلاثة جوانب:

أ- الأخلاق:

فتمام دعوة الرسول ﷺ مبنية على الأخلاق «بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ»^(٤)، وقد وصف الله نبيه بعظيمها بقوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم: ٤]، بل إن الأخلاق هي البر كله، فعن النواس بن سمعان قال: «سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم، فقال البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»^(٥)، وهناك نصوص كثيرة في الموضوع يرجع إليها في مظاهرها.
وتأكيداً لهذا نسوق التطبيقات التالية: ففي الصلاة مثلاً أمرنا بتوقيتها لقوله تعالى: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ [النساء: ١٠٣]، كما أمرنا بالحفاضة عليها «حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وبتمثل أخلاقها «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(١) - صحيح مسلم: كتاب الإيمان. باب عدد شعب الإيمان. (٦٣/١) رقم: ٣٥.

(٢) - العبودية: شيخ الإسلام: ابن تيمية: ص ٥٠.

(٣) - موطأ مالك (٨٩٩/٢) رقم: ٣.

(٤) - موطأ مالك (٩٠٤/٢) رقم: ٨، والبخاري في الأدب المفرد، «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» ص ١٠٤، رقم ٢٧٣.

(٥) - صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب باب تفسير البر والإثم. (١٩٨٠/٤) رقم: ٢٥٥٣.

وفي عبادة الحج نجد أخلاقها في قوله تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق وجدال في الحج﴾ [البقرة: ١٩٧]، وفي الصيام نجد قوله ﷺ: «وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْثُ وَلَا يَصْحَبُ، فَإِنْ سَاءَ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ»^(١).

وفي الزكاة قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى» [البقرة: ٢٦٤] وهكذا نجد مثل هذا الربط بالأخلاق في كل عبادة من العبادات.

وتمثل سورة الحجرات^(٢) أسمى صورة الأخلاق^(٣)، أخلاق المؤمنين مع الله ومع رسوله ﷺ ومع المؤمنين بعضهم بعضاً ومع البشرية قاطبة، وسأجلى ذلك بمشيئة الله عند عرض النداءات الموجودة في السورة.

ب- الأنظمة التي تنظم علاقة الأفراد بعضهم ببعض.

ج - العادات والأعراف السليمة التي لاتعارض مع التشريع الإسلامي^(٤).

وسورة الحجرات مدنية باتفاق^(٥)، غير أنه حُكي قول شاذ بأنها مكية^(٦)، وللقرآن المدني مميزات، منها:

١- المقاطع الطويلة.

٢- ذكر المنافقين وصفاتهم والتحذير منهم.

٣- التشريعات التفصيلية.

٤- محاجة أهل الكتاب.

٥- الحدود والفرائض.

٦- نظام الأسرة.

٧- الجهاد.

٨ - البدء ببناء المؤمنين في الأغلب^(٧).

عدد آيات السورة:

وعدد آي سورة الحجرات ثلثي عشرة آية، وأول ما يبرز للنظر عند مطالعتها هو أنها تكاد تستقل بوضع معالم كاملة لعالم رفيع كريم نظيف سليم متضمنة القواعد والأصول والمبادئ والمناهج التي يقوم عليها هذا العالم، والتي تكفل قيامه أولاً وصيانته آخراً، عالم له أدب مع الله وأدب مع رسوله ﷺ وأدب مع غيره، وختمت فصولها مع هبة من الله تتعلق بالإيمان ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَل لَّا تَمْنُوا عَلَى إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]، ويقرر ذلك الإمام الرازي عند تفسيره السورة، فيقول: «هذه السورة فيها إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وهي إما مع الله ورسوله ﷺ أو مع غيرهما من أبناء الجنس،

(١)- صحيح البخاري: كتاب الصوم، باب فضل الصوم، (٢٦/٣) رقم: ١٩٠٤.

(٢)- والحجرات جمع حجرة كالغرفات جمع غرفة والظلمات جمع ظلمة، وقيل الحجرات جمع الحجر وهو جمع حجرة فهو جمع، وفيه لغتان ضم الجيم وفتحها، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٢٠-٢٠٥، والجامع لأحكام القرآن القرطبي: ج ٤ - ص ٢٠٥. وسميت السورة بهذا الاسم نسبة إلى الحجرات التي كانت تسكنها أمهات المؤمنين، وذلك لحديث السورة عن حرمت بيوت النبي ﷺ.

(٣)- والسورة في الأمر بمكارم الأخلاق ورعاية الآداب: فتح الباري: ج ٨ ص ٤١٣، الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٣٠٠.

(٤)- قد فصل الدكتور عبد العزيز الحياطي في هذين المقيمين. انظر كتابه المجتمع المتكافل في الإسلام.

(٥)- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ج ٤، ص ٢٠٥ والمحرز الوجيز: ابن عطية ج ٢/ص ١٦٠.

(٦)- الإتيان في علوم القرآن: ج ١، ص ٣٢.

(٧)- انظر مثلاً: أضواء البيان في تاريخ القرآن (ص: ١١٩) صابر حسن محمد أبو سليمان، الناشر: دار عالم الكتب - الرياض، عام النشر: ١٤٢٠ هـ -

وهم على صنفين، لأنهم إما أن يكونوا على طريقة المؤمنين وداخلين في رتبة الطاعة أو خارجا عنها وهو الفاسق، والداخل في طائفتهم السالك لطريقتهم إما أن يكون حاضراً عندهم أو غائباً عنهم^(١).

المناسبات في السورة:

وللسورة تناسب مع سابقتها (سورة الفتح)، فقد بدأت الحجرات بالنهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله، وختمت بالنهي عن المن على الله ورسوله، وفي ذلك إرشاد إلى ضرورة تعظيم الله تعالى، وبدأت الفتح بوصف الله سبحانه بالعلم وختمت بمثل ذلك، مما يوحي كذلك بعظمة الله ووجوب تعظيمه.

وذكر الله في أواخر سورة الفتح حقيقة محمد ﷺ «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفاء رحماء بينهم» إلى قوله تعالى «وأجر عظيم» [الفتح: ٢٩]، وجاء الخطاب في بداية سورة الحجرات مبيّناً شأن رسوله ﷺ أيضاً، «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله» [الحجرات: ١]، ولما وصف الله المؤمنين بالرحمة والشدّة على الكفار وسطر ذلك في الكتابين من التوراة والإنجيل «ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل» [الفتح: ٢٩] وذكر الله سمات المسلمين مع قائدهم محمد ﷺ في أواخر سورة الفتح وجاء التناسب بنفس الوصف في بداية سورة الحجرات.

ولا يخفى تأخي السورتين - الفتح والحجرات - لكونهما مدينتين ومشتملتين على أحكام متشابهة، فنلك فيها قتال الكفار وهذه فيها قتال البغاة^(٢)، وتلك ختمت بالذين آمنوا وهذه فتحت بالذين آمنوا، وتلك تضمنت تشريفاً له ﷺ خصوصاً مطلعها وهذه في مطلعها أنواع التشريف له ﷺ^(٣).

وقد ذكر الأستاذ المراغي ثلاثة وجوه لهذه المناسبة مع سورة الفتح هي:

١ - قتال البغاة.

٢ - الاختتام بوصف الذين آمنوا والافتتاح بهم.

(١) - مفاتيح الغيب: الرازي: ج ٢٧ ص ١١٨ .

(٢) - فلمناسبة علم شريف ومن أول من كتب فيه أبو بكر النيسابوري يقول عنه الإمام السيوطي «عزيز العلم في الشريعة والأدب» انظر الإتيان في علوم القرآن: ج ٣ ص ٢٢٢ . وقد اشترط له العز بن عبد السلام حسن ارتباط الكلام بأن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا يربط ركيك يُصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه». البرهان في تناسب سورة القرآن: أحمد بن إبراهيم بن الزبير النفقي: ص ٦٨ .

والأمر الكلي المفيد لعرفان المناسبات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقى له السورة، وتنظر إلى ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب. انظر الإتيان في علوم القرآن: ج ٣ ص ٢٢٣ .

ومناسبة السور تجده في مجموعة منها، وأسوق مثلاً واحداً بين سورتي الفاتحة والبقرة يقول السيوطي: «قد ظهر لي بحمد الله وجوهاً من وجوه المناسبات أن القاعدة التي استقر بها القرآن أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها وشرح له واطناب لإيجازه وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن طولها وقصيرها وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل مجالات الفاتحة» انظر تفصيل ذلك: تناسق الدرر في تناسب السور: جلال الدين السيوطي. دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا: ص ٥ إلى ١٠، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

(٣) - فقتال الكفار في الفتح معروف لأنها فتح مكة وقتل البغاة في الحجرات، جاء في قوله تعالى: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله» [الحجرات: ٩].

(٤) - ختام الفتح «وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم» [المائدة: ٩] وفي افتتاح الحجرات «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله» [الحجرات: ١] .

(٥) - تشريفه ﷺ في الفتح «ليغفر لك الله ما تقدم من ذكرك وما تأخر» [الفتح: ٢] وتشريفه في الحجرات «إن الذين يغيضون أصواتهم عند رسول الله» [الحجرات: ٣] .

٣- التشريف والتكريم لرسول الله ﷺ في مطلعيهما ^(١).

وقد أبداع في هذا التصوير للتناسب الإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير في كتابه البرهان في تناسب سور القرآن حيث قال: "لما وصف سبحانه عباده المصطفين من صحابة نبيه والمخصوصين بفضيلة مشاهدته وكرمه عشرته فقال: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) فأثنى سبحانه عليهم وذكر وصفه تعالى لهم بذلك في التوراة والإنجيل، وهذه خصيصة انفردوا بمزية تكريمها وجرت على واضح قوله تعالى: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" (آل عمران: ١٥) وشهدت لهم بعظيم المنزلة لديه، ناسب هذا طلبهم بتوفية الشعب الإنمائية (والجري قولاً وفعلاً وعملاً ظاهراً وباطناً على أوضح عمل وأخلص نية، وتنزيههم عما وقع من قبلهم في مخاطبات أنبيائهم" ^(٢).

النداءات في سورة الحجرات:

النداء لغة: قال سيبويه: «هو كل اسم مضاف فيه» ^(٣)، وهو أسلوب لغوي بلاغي يهدف فيه المتكلم إلى طلب إقبال المنادى أو جذب انتباهه عن طريق مناداته باسمه أو بصفة من صفاته أو استدعائه لأمر أو طلب ^(٤).

والنداء اصطلاحاً: طلب الإقبال بحرف نائب مناب أَدْعُو ملفوظ به أو مقدر، وحروف النداء ثمانية ^(٥)، وجعلها السيوطي في سبعة إذ أسقط -آي- ^(٦).

ولتكرار النداء فوائد:

- ١- أن يكون في ذلك بيان زيادة الشفقة على المسترشد، كما في قول لقمان: ﴿يا بني لا تشرك بالله﴾ [لقمان: ١٣] ﴿يا بني إن تك مثقال حبة﴾ [لقمان: ١٦] ﴿يا بني أقم الصلاة﴾ [لقمان: ١٧].
- ٢- لئلا يتوهم متوهم أن المخاطب ثانياً غير المخاطب أولاً.
- ٣- ليعلم أن كل واحد من الكلامين مقصود وليس الثاني تأكيداً للأول.

وقد تكرر النداء بـ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ في القرآن الكريم تسعة وثمانين موضعاً منها ست مرات في سورة الحجرات كما أسلفت. والخطاب للمؤمنين يقتضي المؤمنات بحكم أنهن شقائق في الأحكام، كما قال عليه الصلاة والسلام «النساء» ^(٧).

(١)- تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي: ج ٢٦ ص ١١١.

(٢)- انظر ص ١٦٨ من الكتاب تقدم دار إحياء التراث: بيروت الدكتور سعيد جمعة الفلاح. دار ابن الجوزي. ط الأولى ١٤٢٨.

(٣)- الكتاب: ج ٢ ص ١٨٢ تحقيق عبد السلام هارون ط ٣ - ١٩٨٣.

(٤)- انظر اللمع البهية في قواعد اللغة العربية، محمد عوض: ص ٣٣٩، ط ١ - ١٩٩٩ م دار الأرقم.

(٥)- أولاً: ياء، ثانياً أيا - ثالثاً حيا - رابعاً: أي - خامساً - أ سادساً - آ - بالمد، سابعاً - وا - ثامناً آي - بالمد. انظر تفصيل ذلك في: المقتضب: أبو العباس المبرد تحقيق محمد عبد الخالق عظمية ج ٤ - ص ٢٣٤ عالم الكتب - بيروت.

وأسلوب النداء في القرآن الكريم، دراسة تطبيقية في السور المكية: عبد الرحمن بن أحمد المقرئ: ص ١٣.

(٦)- انظر: مع الموعام في شرح جمع الجوامع (٢/ ٣٤)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: عبد الحميد هندراوي، الناشر: المكتبة التوفيقية - مصر، د. ت.

(٧)- البقرة: ١٠٤ - ١٥٣ - ١٧٢ - ١٧٨ - ١٨٣ - ٢٠٨ - ٢٥٤ - ٢٦٤ - ٢٦٧ - ٢٧٨ - ٢٨٢. آل عمران: ١٠٠ - ١٠٢ - ١١٨ - ١٣٠ - ١٤٩ - ١٥٦ - ٢٠٠. النساء: ١٩ - ٢٩ - ٤٣ - ٥٩ - ٧١ - ٩٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٤٤. المائدة: ١ - ٢ - ٦ - ٨ - ١١ - ٣٥ - ٥١ - ٥٧ - ٨٧ - ٩٠ - ٩٤ - ٩٥ - ١٠١ - ١٠٦. الأنفال: ١٥ - ٢٠ - ٢٤ - ٢٧ - ٢٩ - ٤٥. التوبة: ٢٣ - ٢٨ - ٣٤ - ٣٨ - ١١٩ - ١٢٣. الحج: ٧٧ - النور: ٢١ - ٢٧ - ٥٨. الأحزاب: ٩ - ٤ - ٤٩ - ٥٣ - ٥٦ - ٦٩ - ٧٠. محمد: ٧ - ٣٣ - الحجرات: ١ - ٢ - ٦ - ١١ - ١٢ - ١٣. المجادلة: ٩ - ١١ - ١٢. الحشر: ١٨ - الممتحنة: ١ - ١٠ - ١٣. الصف: ٢ - ١٠ - ١٤ الجمعة: ٩ المناقون: ٩. التغابن: ١٤ التحريم: ٦ - ٨.

شقائق الرجال»^(١).

وذكر خطاب المؤمنين في سورة الحجرات ست مرات وكل نداء له عظة وعبرة نفصلها لاحقاً، وهذا النداء من الله لعباده المؤمنين فيه إيمان العبد لربه بكل ما شرع، إيمان القلب واللسان والجوارح، إيمان الإخلاص لرب أمر المؤمنين بذلك «وما أمروا إلا ليعبدوا الله له الدين حنفاء» [البينة: ٥]، وإيمان الطاعة والانقياد، ويقدم بين ذلك شكر العبد لهذا الإيمان.^(٢)

المبحث الثاني: النداءات في سورة الحجرات المطلب الأول: النداء الأول في سورة الحجرات

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾^(٣) [الحجرات: ١].

هذا النداء يبرز مكانة رسول الله ﷺ^(٤)، وتظهر تلك المكانة من خلال قيام المؤمنين بعدة أعمال، هي:
١- حبه ﷺ: لقوله: «ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»^(٥)، ولقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»^(٦)، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيل الله فtribصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ [التوبة: ٢٤]، قال فيها الشيخ عبد الرحمن السعدي: أعظم دليل على وجوب حب الله ورسوله ﷺ، وعلى تقديمهما على محبة كل شيء»^(٧).

٢- الطاعة والاتباع له: لقوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠] وقوله تعالى: ﴿وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾ [النور: ٥٦] وقوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١] وقوله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قالوا من أبي يا رسول الله؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن

(١)- سنن الترمذي: كتاب الطهارة باب فيمن استيقظ فير بللا ولا يذكر احتلاماً، (١/ ١٨٩) رقم: ١١٣.

(٢)- شكر القلب واللسان والجوارح، قال ابن القيم «هو عكوف القلب على محبة المنعم ولهج اللسان بالحمد والثناء وانقياد الجوارح بالطاعات» مدارج السالكين ج ٢ ص ١٣٦ وقال فيه الإمام الحنيد «إن حقيقة الشكر ألا تستعين بنعم الله على معصيته»، حلية الأولياء وطبقة الأصفياء: أبو نعيم الأصفهاني الشافعي: ج ١٠ ص ٢٨٦.

وقال الإمام الشبلي: «الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة» تاج العروس: ج ١ ص ٣٠٢٥.

(٣)- حوت السورة لفظ الإيمان خمس عشرة مرة رغم أن السورة كلها لم تتجاوز ثمان عشرة آية بدأ السورة بنداء الإيمان وأختت بنعمة الإيمان ﴿بل الله يمن عليكم إن هداكم للإيمان﴾.

(٤)- فقد رَكَاه الله تعالى في لسانه ﴿وما ينطق على الهوى﴾ [النجم: ٣]. وركاه في صدره فقال: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ [الشرح: ١]. وركاه في بصره فقال تعالى: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ [النجم: ١٧]. وركاه في قلبه فقال: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ [النجم: ١١]. وركاه في عقله فقال: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ [النجم: ٢]. وركاه في علمه فقال تعالى: ﴿علمه شديد القوى﴾ [النجم: ٥]. وركاه في ذكره فقال تعالى: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ [الشرح: ٤]. وركاه في دينه فقال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾. وركاه في خلقه فقال تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم: ٤].

(٥)- صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، (٢/ ١) رقم ١٦.

(٦)- صحيح البخاري: كتاب الإيمان باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، (١٢/ ١) رقم ١٥.

(٧)- تفسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان: ج ١ ص ٣٣٩.

(١)

عصاني فقد أبي» .

٣- عدم مخالفته: لقوله تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [النور: ٦٣]، والضمير في «عن أمره؟ راجع إلى، الرسول ﷺ أو إلى الله والمعنى واحد لأن الأمر من الله والرسول مبلّغ عنه^(٢)، وجاء نفر إلى بيته ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقال: أين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم أنا أصلي الليل أبدا، وقال الآخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء الرسول ﷺ، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا. أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنني أصلي وأرقد وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب سنتي فليس مني»^(٣)، ومنها قوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧]، وقد بين ﷺ إذ قال: « فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»^(٤).

٤- التسليم لحكمه: لقوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [النساء: ٦٥]، فهي حقيقة كلية من حقائق الإسلام جاءت في صورة قسم مؤكد، مطلقة من كل قيد، وليس هناك مجال للوهم والإيهام بأن تحكيم رسول الله ﷺ هو تحكيم شريعته ومنهجه. ٥- الصلاة عليه ﷺ: وإن من إجلال مكانة الرسول ﷺ الصلاة عليه، لقوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه ويسلموا تسليما﴾ [الأحزاب: ٥٦]. فهذه الآية شرف الله بها رسوله عليه السلام في حياته وموته، وذكر منزلته منه، وطهر بها سوء من فعل من استصحب في جهته فكرة سوء^(٥)، فيالها من مرتبة سنية حيث تردد جنابات الوجود ثناء الله على نبيه ﷺ ويتشرف به الكون كله وتتجاوب به أرجاؤه، ويثبت في كيان الوجود ذلك الثناء الأزلي القديم الأبدي الباقي وما من نعمة ولا تكرم بعد هذه النعمة وهذا التكرم، واختلف العلماء في وجوبية الصلاة عليه، عليه الصلاة والسلام، فمنهم من جعلها فرضا مرة في العمر، ومنهم من جعلها واجبة كلما جرى ذكره، ومنهم من قال تجب مرة في كل مجلس وإن تكرر ذكره عليه الصلاة والسلام، ومنهم من جعلها واجبة مثل السنة المؤكدة^(٦). غير أن الذي أميل له الصلاة عليه كلما ذكر اسمه، للآية الأنف ذكرها إذ جاءت بصيغة الأمر مع صفة تؤكد ذلك. وهناك سلسلة من الأحاديث تشير إلى فضل الصلاة عليه ﷺ^(٧).

(١)- صحيح البخاري: كتاب الاعتصام: باب الاقتداء بسنة الرسول ﷺ بالكتاب والسنة، (٩٢/٩) رقم ٧٢٨٠.

(٢)- أضواء البيان: الشنقيطي: ج ٦، ص ١٧٧.

(٣)- صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٧/ ٢) رقم: ٥٠٦٣.

(٤)- صحيح مسلم: باب فَرَضِ الْحُجِّ مَرَّةً فِي الْعُمْرِ (٢/ ٩٧٥) رقم: ٤١٢.

(٥)- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: ج ١٤ ص ٢٣٢.

(٦)- فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رقي المنبر فلما رقي الدرجة الأولى قال آمين ثم رقي الثانية فقال آمين ثم رقي الثالثة فقال آمين. فقالوا يا رسول الله سمعناك تقول آمين ثلاث مرات ؟ قال: لما رقيت الدرجة الأولى جاءني جبريل فقال شقي عبد أدرك رمضان فانسلك منه ولم يغفر له فقلت آمين. ثم قال: شقي عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلا الجنة. فقلت: آمين. ثم قال شقي عبد ذكرت عنده ولم يصل عليك فقلت آمين». أخرجه الطبراني في المعجم الوسيط ج ٤ ص ١٦٢، وقد ضعف النووي إسناداه. انظر الأذكار: ص ١٢٢.

(٧)- منها: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة»، سنن الترمذي، (٢/ ٣٥٤) رقم: ٤٨٤. «من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي»، صحيح ابن حبان: صحيح ابن حبان (٣/ ١٩٠) رقم ٩١٠. وعن أبي بن كعب أنه قال قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال ما شئت فقلت الربع قلت ما شئت وإن زدت كان خيرا لك

فالنداء الأول في السورة «يا أيها الذين لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم» قد تضمن هذا النداء لزوم توقير النبي ﷺ وتعظيمه واحترامه، وهو كقوله تعالى: «لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه» [الفتح: ٩]، وقوله تعالى: «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا» [النور: ٦٣]، وقوله تعالى: «فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه» [الأعراف: ١٥٧] وهي آداب شرعية معه ﷺ، وقد جسدها معاذ بن جبل حين بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن فقال له: «م تحكم قال بكتاب الله، قال ﷺ فإن لم تجد؟ قال: فبسنة رسول الله، قال ﷺ فإن لم تجد؟ قال: اجتهد رأي. فضرب في صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله»^(١)، فقد أصر رضي الله عنه رأيته حتى يستشير ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب تقديم بين يدي الله ورسوله^(٢)، وهذا ما فعل الصحابة رضوان الله عليهم في حجة الوداع، كما جاء في حديث أبي بكر نقيب بن الحارث الثقافي. قال: سأل رسول الله ﷺ الصحابة أي شهر هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال أليس ذلك ذا الحجة؟ قلنا بلى. قال: أي بلد هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. فقال: أليس هذا البلد الحرام؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: في أي يوم هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: أليس يوم النحر قلنا بلى يا رسول الله»^(٣)، ومنها سؤاله ﷺ لعمر. «أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم»^(٤). فهذا السكوت من الصحابة ليس عن عدم علم؛ لأن الإجابات بدهية، ولكن ذلك تأدبا مع النبي صلى الله عليه وسلم.

ولهذا النداء ثلاثة أوجه:

الأول: أن فيه مضارع قدّم اللازم، بمعنى تقدّم، ومنه مقدمة الجيش ومقدمة الكتاب، وهذا أصح الوجوه ويدل عليه قراءة يعقوب «لا تقدّموا» بفتح الياء والدال المشددة، وأصله تتقدموا بخذف التاءين^(٥).

الثاني: أنه مضارع قدم المتعدي والمفعول محذوف، أي لا تقدموا ما لا يصلح^(٦).

الثالث: أنه مضارع قدّم المتعدي، ولكنه أجري مجرى اللازم وقطع النظر عن وقوعه على مفعوله لأن المراد هو أصل

قلت: النصف قال: ما شئت وإن زدت كان خير لك قلت: فالثلاثين قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك قلت: أجعل لك صلاتي كلها قال: إذا تكفي همك ويغفر لك ذنبك»، سنن الترمذي (٦٣٦/٤) رقم: ٢٤٥٧. «من صلى عليّ صلاةً صلى الله عليه بها عشراً» سنن أبي داود: كتاب الصلاة، (١/ ٣٩٤) رقم: ٥٢٣. «من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة» أخرجه الطبراني في الترغيب والترهيب ج ١ ص ٢٦١.

(١) - سنن أبي داود: كتاب الأفضية باب اجتهد الرأي في القضاء: (٣٠٣/٣) رقم الحديث ٢٥٩٢.

(٢) - تفسير القرآن العظيم: ج ٤ ص ٢٥٥.

(٣) - صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب حجة الوداع (٢٤/١) رقم: ٦٧.

(٤) - فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه من أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبته إلى ركبته، ووضع كفيه على فخذيه، وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه، فقال: أخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: أخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان، ثم انطلق فلبث مليا. ثم قال يا عمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم قال: إنه جبريل أتاكم يعلم دينكم». صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة (١٩/١) رقم: ٥٠.

(٥) - النشر في القراءات العشر: ابن الجوزي، ج ١ ص ٣٧٦ وقرأ الباقون بضم التاء وكسر الدال: اخرج الوجيز: ابن عطية: ج ١ ص ١٣.

(٦) - التبيان في إعراب القرآن الكريم: ج ١ ص ٤١٢.

الفعل دون وقوعه على مفعوله ^(١).

وقد جاء النداء بتفسيرات منها:

قال ابن عباس: «لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة»، وقال العوفي: «نُهو أن يتكلموا بين يدي كلامه»، وقال مجاهد: «لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضي الله تعالى على لسانه»، وقال الضحاك: «لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله ﷺ منه شرائع دينكم»، وقال علي بن أبي طلحة: «لا تقولوا قبل أن يقول النبي ﷺ» وقال الطبري: «لا تعجلوا بقضاء أمر الله في حروبكم أو دينكم قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله فتقضوا بخلاف أمر الله ورسوله» ^(٢) وقيل غير ذلك.

وقد نزلت الآية لسبب ^(٣)، فعن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبر أنه قدم ركب من بني تميم على رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن عبد وقال عمر بل أمر الأقرع ابن حابس فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر ما أردت خلافي، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله» إلى قوله تعالى «ولو أنهم صبروا» ^(٤)، وحصر البخاري سبب النزول على قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي» ^(٥).

المطلب الثاني: النداء الثاني في سورة الحجرات

«يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي»، فهذا النداء كسابقه يجلي رفعة الرسول ﷺ وتشريفه، قيل إن الآية نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر ^(٦)، غير أن ابن عطية قال: «الصحيح أن سبب نزول هذه الآية كلام حفاة الأعراب، فإن الذي يتعلق بقصة الشيخين في تخالفهما في التأخير هو أول السورة «لا تقدموا» ^(٧)، وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس كان رفيع الصوت ^(٨)، فمن شدة خوفه عند نزول الآية قال: «أنا من أهل النار واحتبس عن رسول الله ﷺ حتى أبلغ سعد بن معاذ رسول الله ﷺ فقال: بل هو من أهل الجنة» ^(٩). وفيه دلالة على عدم جواز مناداة رسول الله ﷺ كما ينادي بعضنا بعضا، وهي شبيهة بقوله تعالى: «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا» [النور: ٦٣] أي: لا تسموه إذا دعوتوه يا محمد، ولا تقولوا ابن عبد الله ولكن شرفوه

(١) - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، ج ٧ ص ٤١٦.

(٢) - انظر: تفسير الآية جامع البيان الطبري (٢٧٢/٢٢) وغيره.

(٣) - فسيب النزول ما نزلت الآية والآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه، والمعنى أنه حادثه وقعت في زمن النبي ﷺ أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى بيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب السؤال مناهل العرفان: عبد العظيم الزرقاني: ج ١ ص ١٠٦.

وله فوائد منها: أ- الوقوف على المعنى أو إزالة الإشكال قال ابن تيمية: «معرفة سبب النزول تعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث علم بالمسبب.

ب- طريق قوي في فهم معاني القرآن. ج- معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم. د- تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب. انظر: الإتيان: ج ١ ص ٨٢ ولباب القول: ص ١.

(٤) - لباب النقول: السيوطي: ص ١٧٩، أسباب النزول: الواحدي: ٢٨٧.

(٥) - صحيح البخاري: كتاب التفسير باب «لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي» رقم الحديث ٤٨٤٥.

(٦) - انظر: أسباب النزول: الواحدي: ص ٢٨٧ ولباب النقول: السيوطي: ص ١٨٩.

(٧) - المخرر الوجيز: ج ١ ص ١٥٦ وفتح الباري: ج ٨ ص ٤٥٦.

(٨) - انظر تفسير القرآن العظيم: ج ٤ ص ٢٠٦.

(٩) - المخرر الوجيز: ج ٤ ص ١٣١.

فقولوا يا نبي الله، يا رسول الله»^(١).

ودلت آيات من كتاب الله على أن الله تعالى لم يخاطبه في كتابه باسمه وإنما يخاطبه بما يدل على التشريف^(٢). وكقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا﴾ [البقرة: ١٠٤]، وهذا النهي جاء بسبب أن اليهود تقولها على وجه الاستهزاء فزجر الله المؤمنين أن يقولوا كقولهم^(٣).

وكما يكره رفع الصوت وهو حي ﷺ فيكره بعد موته وقد أجمع العلماء على ذلك فقد روي عن عمر بن الخطاب «أنه سمع رجلين في مسجد النبي ﷺ قد ارتفعت أصواتهما فجاءهما فقال أتدريان أين أنتما؟ فقال من أين أنتما؟ قالوا من الطائف فقال لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً»^(٤).

وقد روي عن الإمام مالك أنه سمع أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور وقد رفع صوته أمام قبره ﷺ فقال له يا أمير المؤمنين إن الله عاتب أقواما رفعوا أصواتهم عنده فقرأ عليه ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ وذم أقواما نادوه من وراء الحجرات فقرأ ﴿إن الذين ينادونكم من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ ومدح أقواما خفضوا أصواتهم عنده فقرأ ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾، قال أبو بكر بن العربي «حرمة النبي ﷺ ميتا كحرمة حيا، وكلامه المأثور بعد موته في الرقعة مثال كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ولا يُعرض عنه كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به»^(٥).

وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لأن ذلك كفر والمخاطبون المؤمنون وإنما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبار فيتكلف الغض منه ورده إلى حد يميل به إلى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقيف^(٦).

فإذا كان هذا حكم من رفع صوته عند سماع حديث رسول الله ﷺ فما بالك بمن أنكر قول الله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧]، وقوله تعالى: ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وأنزّلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ [النحل: ٤٤]، وقوله ﷺ «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه»^(٧)، وينطبق هذا على من سموا أنفسهم بالقرآنيين^(٨).

(١) - تفسير القرآن العظيم: ج ٤ ص ٢٠٧ وفيه تفسير آخر «لا تعتقدوا أن دعاءه على غيره كدعائه، فإن دعاءه مستجاب»، المصدر نفسه.

(٢) - كقوله تعالى ﴿يا أيها النبي﴾ الأنفال: ٦٤ - ٦٥ - ٧٠ أو ﴿يا أيها الرسول﴾ المائدة: ٤١ - ٦٧ أو ﴿يا أيها المزمّل﴾ المزمّل: ١ أو ﴿يا أيها المدثر﴾ المدثر: ١ أو يأتي اسمه ﷺ مضافا «محمد رسول الله» الفتح: ٢٩ «وما محمد إلا رسول الله قد خلت من قبله الرسل» [آل عمران: ١٤٤].

(٣) - انظر تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ج ١ ص ١٦.

(٤) - انظر: تفسير القرآن العظيم: ج ٤ ص ٢٠٧، والمحرر الوجيز ج ١ ص ١٣٢.

(٥) - المصدر نفسه.

(٦) - أحكام القرآن: ج ٣ ص ١٧١٢.

(٧) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ج ١٦ ص ٣٠٧.

(٨) - سنن أبي داود: كتاب السنة باب في لزوم السنة (٢٠٠ / ٤) رقم الحديث ٤٦٠٤، وصححه الالباني.

(٩) - طائفة يرون أن القرآن وحده مصدرا للتشريع ولا يعترفون بالسنة النبوية والأصح أن يطلق عليهم منكر السنة.

انظر: تعريف القرآنيين: شريف هادي وشبهات القرآنيين عثمان بن معلم محمود بن شيخ على شبهات القرآنيين حول السنة النبوية: حمود بن محمد مزروعة. قال فيهم الشيخ ابن باز « ليسوا قرآنيين ولكنهم ضد القرآن وملاحدة وضالون بل كفار بإجماع أهل العلم فمن أنكر السنة ولم يعمل بها وزعم أنه لا يعمل إلا

وجاء في سياق النداء وعيد لمن رفع صوته ﴿أن تحبط أعمالكم﴾^(١)، قال ابن عطية: «وهذا الحبط إن كانت الآية معرضة لمن يفعل ذلك استخفافاً واستحقاقاً وجرأةً فذلك كفر والحبط معه على حقيقته، وإن كان التعريض للموهن الفاضل الذي يفعل ذلك غفلة وجريا على طبعه، فإنما يحبط عمله البر في توقيف النبي ﷺ»^(٢)، وقال الزجاج: «معناه لا تفعلوا ذلك فتحبط أعمالكم. والمعنى لئلا تحبط أعمالكم، فالمعنى معنى اللام في أن. وهذه اللام لام الصيرورة وهي كاللام في قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾ [القصص: ٨]. والمعنى فالتقطه آل فرعون ليصير أمرهم إلى ذلك، لا أنهم قصدوا أن يصير إلى ذلك، ولكنه في المقدار فيما سبق من علم الله أن السبب الصير التقاطهم إياه، وكذلك لا ترفعوا أصواتكم فيكون ذلك سببا لأن تحبط أعمالكم»^(٣).

ونقيض هذا العمل غرض الصوت عند رسول الله ﷺ، وقد نوه الله بتقوى الذين يغضون أصواتهم، فقال: ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾، فالتقوى هنا عظيمة يختار الله لها القلوب بعد امتحان واختبار وبعد تخليص وتمحيص فلا يضعها في قلب إلا وقد تمياً لها وثبت أنه يستحقها. وقد اختبر الله قلوبهم وهبها لتلقي تلك الهبة هبة التقوى، فهؤلاء طهرهم الله من كل قبيح وجعل في قلوبهم الخوف من الله والتقوى، قال عمر بن الخطاب «أذهب عن قلوبهم الشهوات»^(٤).

وبعد هذه الرقة من أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى رجع إلى الحديث في هؤلاء الذين وصفتهم الآية بأن أكثرهم لا يعقلون: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾، إذ كرهت الآيات لهم هذا النداء على هذه الصفة المنافية للأدب والتوقير اللائق بشخص رسول الله ﷺ وحرمة رسول الله ﷺ القائد المرئي وبينت لهم الأولى والأفضل وهو الصبر والانتظار حتى يخرج لهم، وحبيت إليهم التوبة والإنابة ورغبتهم في المغفرة والرحمة.

وقد نزلت الآية لأسباب، نذكر منها ما قاله مجاهد وغيره: أنها نزلت في أعراب بني تميم، قدم الوفد منهم على النبي ﷺ فدخلوا المسجد ونادوا النبي ﷺ من وراء حجرته أن اخرج إلينا^(٥).

وقد وعى المسلمون هذا الأدب الرفيع من غض للصوت وعدم المناداة من وراء الحجرات والتحلي بالصبر، فهذا ثابت بن قيس نرى له سموقا في هذا الجانب، فقد جاء في الصحيح عن أنس بن مالك «أن النبي ﷺ افتقد ثابت ابن قيس، فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأتاه ووجده جالسا في بيته منكساً رأسه، فقال له ما شأنك؟ فقال شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبر أنه قال كذا وكذا، قال موسى بن أنس بن مالك: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة»^(٦).

بالقرآن فهو كاذب لم يعمل بالقرآن» وقد كتب يرحمه الله رسالة في الموضوع سماها «وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ وجاء بنصوص تثبت بالدليل بالأخذ بالسنة. انظر الكتاب ص ٧ إلى ١٠.

(١) - نقول حبط حبطا حطوطا عمل عملا ثم أفسده. انظر: لسان العرب: مادة - حبط.

(٢) - المخرج الوجيز: ج ١٢ ص ١٣٢.

(٣) - معاني القرآن: ج ٥ ص ٣٢.

(٤) - الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: ج ١٦ ص ٣٠٨.

(٥) - انظر: روايات أقوى كانت سببا لنزول الآية لباب النقول في أسباب النزول السيوطي ص ١٧٨١، أسباب النزول: الواحدي ص ٢٧٩، والجامع لأحكام

القرآن: القرطبي ج ١٦ ص ٣٠٩، المخرج الوجيز: ابن عطية ج ١٥ ص ١٣٤، وجامع البيان: الطبري: ج ٢٦ ص ١٢٢.

(٦) - البخاري: كتاب التفسير باب «لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي» (١٣٧/٦) رقم الحديث ٤٨٤٦.

يتجاوز هذا الأدب به شخص الرسول ﷺ إلى كل أستاذ وعالم، لا يزعجونه حتى يخرج إليهم، ولا يقتحمون عليه حتى يدعوه. فالعلماء في كل حال لهم فضل عظيم، في خروجهم لطلب العلم، وفي مجالستهم لهم فيه فضل، وفي مذاكرة بعضهم لبعض فيه فضل، وفي من تعلموا منه العلم لهم فيه فضل، وفي من علموه العلم لهم فيه فضل، فقد جمع الله للعلماء الخير من جهات كثيرة^(١).

المطلب الثالث: النداء الثالث في سورة الحجرات

﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق نبأ فتيبوا﴾.

هذا النداء جاء لبيان الرابطة بين المسلمين وبين لهم أن يكفوا ألسنتهم حتى لا تنفصم عرى إيمانهم، وأبرز لهم كيف يتلقون الأخبار وكيف يتصرفون بها، وذكر أن الإسلام جاء لبناء المجتمع بناء على الضمير والوجدان حتى لا يوجد بينهم من يتصف بالفسق^(٢) لأنه مظنة الكذب، وحتى لا يشيع الشك بين الجماعة المسلمة في كل ما ينقله أفرادها من أنباء، فيقع ما يشبه الشلل في معلوماتها، لأن الأصل في المسلم الثقة، وقد قرئ الأمر بالثبوت «فتثبتوا»^(٣)، نزلت الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، كما فيما رواه قتادة أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عقبة مصداقاً إلى بني المصطلق فلما أبصروه أقبلوا نحوه فهاجمهم - وفي رواية: لإحنة كانت بينه وبينهم - فرفع إلى النبي ﷺ فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام فبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونه فلما جاءوا أخبروا خالداً أنهم متمسكون بالإسلام وسمعوا أذان صلاتهم. فلما أصبحوا أتاهم خالد ورأى صحة ما ذكره فعاد إلى النبي ﷺ فأخبره فنزلت الآية^(٤). وقال الإمام القرطبي: «وفي الآية دليل على فساد قول من قال: إن المسلمين كلهم عدول حتى تثبت الجرحه لأن الله أمر بالثبوت قبل القبول، ولا معنى للثبوت بعد إنفاذ الحكم، فإن حكم الحاكم قبل الثبوت فقد أصاب المحكوم عليه بجهالة»^(٥). كما أن الآية دليل لقبول خبر الواحد^(٦) إذا كان عدلاً، لأنه إنما أمر فيها بالثبوت عند خبر الفاسق، ومن ثبت فسقه بطل قوله في الأخبار إجماعاً، لأن الخبر أمانة والفسق قرينة يبطلها^(٧).

فمدلول الآية عام، وهو يتضمن مبدأ التمهيص والثبوت من خبر الفاسق، فأما الصالح فيؤخذ بخبره لأن هذا هو الأصل في الجماعة المؤمنة وخبر الفاسق استثناء، والأخذ بخبر الصالح جزء من منهج الثبوت لأنه أحد مصادره. وإذا أردنا أن نعنون هذا النداء اخترنا له عنوان حفظ اللسان، والذي يؤكد نداء آخر في الآية ٧٠ من سورة الأحزاب: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا﴾ والنصوص كثيرة في هذا الموضوع منها قوله تعالى في سورة ق الآية ١٨: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾، وقوله تعالى في سورة مريم الآية ٧٩: ﴿كلا سنكتب

(١) - أخلاق العلماء: أبو بكر محمد بن الحسين عبد الله الأحمري: ٤١.

(٢) - الفسق: هو الخروج عن نهج الحق، وهو مراتب متباينة كلها مظنة الكذب وموضع تثبيت وتبين، المخر الوجيز: ابن عطية ج ١٢ ص ١٣٧.

(٣) - قُرْأَ حَمْرُهُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفْتُ فِي الثَّلَاثَةِ فَتَثَبْتُ مِنْ التَّثَبُّتِ، وَقُرْأَ الْبَاقُونَ فِي الثَّلَاثَةِ مِنَ التَّثَبُّتِ، انظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٥١).

(٤) - الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: ج ١٦ ص ٣١١.

(٥) - المصدر نفسه والمخر الوجيز: ج ١٥ ص ١٣٨.

(٦) - جعل العلماء لقبول خبر الواحد شروطاً أجهلها: أولاً: أن يكون الراوي عدلاً، ثانياً: أن يكون ضابطاً، ثالثاً: أن يكون السند متصلاً. رابعاً: أن يكون الخبر سالماً من الشذوذ خامساً: أن يكون الخبر سالماً من العلة. انظر: مقدمة ابن الصلاح: ١٥. واختلف العلماء بحجته وعدم حجته في الأحكام والعقائد.

انظر الرسالة: الشافعي: ٤٢٧ والأحكام الأمدي ج ١ ص ١٠٢ إلى ١٠٨ والتمهيد ابن عبد البر: ج ٣٤ ص ١ والباعث الحثيث ابن الصلاح: ج ١ ص ١٢٧.

(٧) - الجامع لأحكام القرآن: ج ١٦ ص ٣١٢.

ما يقول وغمد له من العذاب مداً» ومنه قوله تعالى في سورة النور الآية: ١٥ ﴿إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم﴾ وقوله تعالى في سورة النحل الآية ١١٦: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب﴾.

ومن النصوص الحديثية: وصية رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل عند سؤاله يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ﷺ «ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم في النار - أو قال على مناخرهم - يوم القيامة إلا

حصاد ألسنتهم» وقوله ﷺ ^(١) «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوي بها سبعين خريفا في النار» وقوله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» ^(٢). والعجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر، ومن النظر الحرام وغير ذلك ويصعب عليه التحفظ والاحتراز من حركة لسانه حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا ينزل في النار بالكلمة الواحدة أبعد ما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يقطع ويذبح في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي بما يقول ^(٣).

وبين النداء ابتداء تحريم النسيمة ^(٤) ووعيدها، قال عليه الصلاة والسلام «لا يدخل الجنة غمام» ^(٥). وقال أيضا عليه الصلاة والسلام بعد أن سمع صوت إنسانين يعذبان في قبريهما: «إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير وإنه لكبير كان أحدهما لا يستتر من البول وكان الآخر يمشي بالنسيمة» ^(٦). وفي رواية «لا يدخل الجنة قتات» ^(٧)، ويذكر الله تعالى هؤلاء بعد فعلتهم بحقيقة وجود الرسول ﷺ الذي بعثه لتكون جماعة المسلمين جسدا واحدا «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» ^(٨)، ويترتب على ذلك أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هي الأصل، فقولته تعالى ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله﴾ توبيخ للكذبة ووعيد بالفضيحة أي فليفكر الكاذب في أن الله عز وجل يفضحه على لسان رسول الله ﷺ ^(٩). وفيه تذكير آخر بنعمة الإيمان ﴿ولكن الله حبيب إليكم الإيمان﴾ كأنه قال ولكن الله أنعم بكذا

(١) - سنن الترمذي: كتاب الإيمان باب ما جاء في حرمة الصلاة: (١١/٥) رقم ٢٦١٦. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) - صحيح البخاري: كتاب الرقاق باب حفظ اللسان (١٠٠/٨) رقم ٦٤٧٥.

(٣) - صحيح البخاري: كتاب الأدب باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره: (١٠٠/٨) رقم ٦٤٧٣.

(٤) - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: ابن القيم الجوزية: ص ١٤٠.

(٥) - بوب الإمام مسلم في صحيحه باب «بيان غلط تحريم النسيمة».

(٦) - النسيمة لغة رفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد، وقيل تزيين الكلام بالكذب. انظر لسان العرب. مادة - نيم - وفي الاصطلاح: نقل الحديث من إلى قوم على جهة الإفساد والشر.

انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ج ٥ ص ٢٥٦ وفي الأصل نقل القول إلى المقول فيه ولا اختصاص لها بذلك بل ضابطها كشف ما يُكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو غيرها، وسواء كان المنقول قولاً أو فعلاً وسواء كان عيباً أو لا حتى لو رأى شخصاً يخفي ماله فأفشى كان نسيمة. انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ج ١٠ ص ٤٣٣ وقد بوب الإمام البخاري باب في صحيحه سماء «باب ما يكره النسيمة».

(٧) - صحيح البخاري: كتاب الأدب باب ما يكره من النسيمة (١٧/٨) رقم ٦٠٥٦ وصحيح مسلم باب بيان غلط تحريم النسيمة (١٠١/١) رقم ١٦٩.

(٨) - صحيح مسلم كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول رقم ٢٢٢.

(٩) - القتات هو المنام، وقيل الفرق بينهما أن المنام الذي يحضر القصة فينقلها والقتات الذي يستمع من حيث لا يعلم به ثم ينقل ما سمعه. انظر فتح الباري: ج ١٠ ص ٤٧٣ والترغيب والترهيب للمنزدي ج ٣ ص ٣٢٣.

(١٠) - صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم (١٩٩٩/٤) رقم: ٢٥٨٦.

(١١) - المحرر الوجيز: ج ١٥ ص ١٣٨.

وكذا وفي ذلك كفاية وأمر لا تقومون بشكره فلا تتقدموا في الأمور واقنعوا بإنعام الله عليكم^(١)، ونظيره قوله تعالى: ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾ [الكهف: ١٧]. وقوله تعالى: ﴿ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه﴾ [الإسراء: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون﴾ [الأعراف: ١٧٨]، ومن كان كذلك فهو الراشد ﴿أولئك هم الراشدون﴾، فاختيار الله لفريق من عباده ليشرح صدورهم للإيمان والهداية ويحرك قلوبهم إليهما هو فضل من الله دونه كل فضل وكل نعمة، والذي يستوقف النظر هنا هو تذكيرهم بأن الله هو الذي أراد بهم هذا الخير وهو الذي خلص قلوبهم من ذلك الشر: الكفر والفسوق والعصيان.

ويأخذنا النداء ذاته إلى حقيقة بناء مجتمع مسلم خال من الصراعات والأحقاد والنزاعات، وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما^(٢)، فالمؤمنون أقرب رحما بعضهم ببعض بحكم أخوتهم في الله، والتقاءهم في العقيدة التي يعدها الإسلام أوثق من روابط الدم ووشائج النسب فإن وجدت مثل هاتين الطائفتين فلا بد من مصلحين حتى لا تنفصم عرى الجماعة المسلمة فالإصلاح خير قال عليه الصلاة والسلام «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا: بلى قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة»^(٣).

وللآية عدة أسباب لنزولها^(٤)، وقال ابن العربي: «والآية تقتضي جميع ما روي وما لم يُرو فلا يصح تخصيصها ببعض الأحوال دون بعض»^(٥).

والإصلاح يمثل قاعدة عامة محكمة لصيانة الطائفتين من التفكك والتفريق، والارتكان في الإصلاح إلى تقوى الله، والجميل أن الآية أبقت الإيمان للطائفتين معا ومع احتمال أن إحداها قد تكون باغية على الأخرى، ويعود النداء بعد لحمة المؤمنين ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ يذكرهم بالإصلاح عند الخصومة والإصلاح عند الوحدة التي تقوم على الحب والسلام والتعاون لأنها الأصل، أما الاقتتال فاستثناء، وسطرت الآية ١٠٣ من سورة آل عمران هذا العناق الإيماني الذي هو من الله ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إن كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾، ففي الآية ثلاثة أوامر: الاعتصام بحبل الله، وعدم التفرقة بين الجماعة المسلمة، والتذكر لنعمة الأخوة. قال الإمام القرطبي: «أمر الله تعالى بتذكر نعمه وأعظمها الإسلام واتباع نبيه محمد ﷺ فإن به زالت العداوة والفرقة وكانت المحبة والألفة»^(٦)، وقال الزجاج: «ذكرهم بتعظيم النعمة عليهم في الإسلام لأنهم كانوا في جاهليتهم يقتل بعضهم بعضا، ويستبيح كل غالب منهم من غلبه فحظر عليهم الإسلام الأنفس والأموال إلا بحقها، فعرفهم الله عز وجل ما هم من الحظ في العاجل في الدخول إلى الإسلام»^(٧).

(١)- المصدر نفسه.

(٢)- سنن أبي داود (٢٨٠/٤) رقم الحديث ٤٩١٩ والترمذي (٦٦٣/٤) رقم الحديث ٢٥٠٩.

(٣)- انظر أحكام القرآن لابن العربي، ج ٤ ص ١٧١٦ و ١٧١٧.

(٤)- المصدر نفسه.

(٥)- والحيل في لغة العرب العهد: معاني القرآن: الزجاج: ج ١ ص ٤٥٠ وقال عبد الله بن مسعود: «حبل الله، القرآن» الجامع لأحكام القرآن: ٤٢ ص ١٥٩ وهو قول الرسول ﷺ: «إن هذا القرآن هو حبل الله»، سنن الدارمي: رقم ٣٣١٥، وقال الذهبي: «في الحديث إبراهيم الأجري ضعفه غير واحد» ميزان الاعتدال: ج ١ ص ١٦٦. وقال ابن كثير: «غريب من هذا الوجه وإنما هو كلام ابن مسعود»، فضائل القرآن: ص ٤٦. وقال في الذي ليس من النسب «إخوانا على سرر متقابلين» الحجر ٤٧ وقال «فإخوانكم في الدين وحوالكم» الأحزاب، المحجة للقرء السبعة: ج ٦ ص ٢٠٩.

(٦)- الجامع لأحكام القرآن: ج ٤ ص ١٦٤.

(٧)- معاني القرآن: ج ١ ص ٤٥٠.

وهي أخوة عنوانها الأبرز الاعتصام بحبل الله، وقد بدا جلياً إشراق الأخوة في الآية التي تلت الإصلاح بين طائفتين مؤمنتين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١)، فمما يترتب على هذه الأخوة أن يكون الحب والسلام والتعاون والوحدة هي الأصل في الجماعة المسلمة، وجيء بصيغة القصر المفيدة لحصر ما لهم في حالة الأخوة مبالغة في تقرير هذا الحكم بين المسلمين، فهو قصر ادعائي أو قصر إضافي؛ للرد على أصحاب الحالة المفروضة الذين ييغون على غيرهم من المؤمنين، ومن شأن ﴿إِنَّمَا﴾ في الآية أن تجيء لخبر لا يجمله المخاطب، ولا يدفع صحته^(٢)، كما بينت الآية العاشرة من سورة الحشر: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾، أن الأخوة في الآية تشير إلى الأخوة في الدين لا في النسب^(٣)؛ لأن أخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب، يقول ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»^(٤)، ويقول ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»^(٥)، ويقول ﷺ «المسلم أخو المسلم»^(٦)، ويقول ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٧)، وجزء من هذه الأخوة سلامة الصدر لقوله ﷺ «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»^(٨)، لذا كان من الأعمال الأساس التي قام بها ﷺ الأخوة، وقد ضرب الأنصار مثال السموق في ذلك حتى أنزل الله فيهم قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، قال الإمام السعدي: «ومن أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميزوا بها على من سواهم، الإيثار، وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بمحاب النفس من الأموال وغيرها، وبذلك للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلا من خلق زكي، ومحبة لله تعالى مقدمة على محبة شهوات النفس ولذاتها»^(٩)، فهي صورة وضیئة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار، هذه المجموعة التي تفردت بصفات بلغت إلى الآفاق، لولا أنها وقعت بالفعل لحسبها الناس أحلاماً طائراً ورؤى مجنحة ومثلاً علياً قد صاغها خيال محلق. فهذه صفة الجماعة المسلمة لذا نجد معظم شعائرها تقوم على الجماعة في صلاتهم وصيامهم وحجهم وكذلك في

(١) وهي قراءة الجمهور. انظر الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي ج ٦ ص ٢٠٧ وذلك رعاية لحال أقل عدد يقع فيه القتال والتشاجر، وقرأ ابن عامر والحسن بخلاف عنه «بين إخوانكم» وقرأ ابن سيرين وزيد بن ثابت وابن مسعود والحسن وعاصم الجحدري ومهاد بن سلمة «بين إخوانكم». انظر: المخرر الوجيز: ج ١٥ ص ١٤٢.

وقرئت ﴿بين إخوانكم﴾ بآلة جماعة. الحجة للقراء السبعة: ج ٦ ص ٢٠٧.

(٢) انظر: دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص ٣٣٠.

(٣) قال أبو علي الفارسي: «أكثر الاستعمال في جمع الأخ من النسب إخوة وآباء وفي التنزيل «فإن كان له إخوة» النساء ١١ وقال الشاعر: وجدتم بنبيكم دوننا نسبتم *** وأي نبي الآباء تنبو مناسبة لسان العرب: مادة - أخوا -.

(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاضدهم، (١٩٩٩/٤) رقم ٦٥.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الأدب باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً (١٢٩/٢) رقم ٢٤٤٦.

(٦) البخاري: كتاب المظالم باب لا يظلم المسلم (١٢٨/٣) رقم: ٢٤٤٢.

(٧) صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير (٦٧/١) رقم ٤٥.

(٨) صحيح مسلم: كتاب المظالم باب تحريم ظلم المسلم (١٩٨٦/٤) رقم: ٢٥٦٤.

(٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ص ١٠٠٣.

حياتهم اليومية «ليتخذ بعضهم بعضا سخريا» [الزحرف: ٣٣]. قال الإمام الطبري: «ليستسخر هذا في خدمته، وفي عود هذا على هذا بما في يديه من فضل»^(١)، فما أعظم أن تلهج ألسنتنا في الصلاة بصيغة الجمع «إياك نعبد» وفيها إشارة على أن المؤمنين في عبادتهم مجتمعون موحدون مستعينون بالله مقصدهم الجنة قال ﷺ «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام»^(٢).

وفي سياق الآية «فأصلحوا بين أخويكم» وكأني بالآية تلزم المسلم اتباع نظام الإصلاح بين الجماعة المسلمة، ومن المسلم أن الإصلاح له أصول وضوابط نجملها في النقاط التالية:

- ١- إصلاح النية «إنما الأعمال بالنيات»^(٣).
- ٢- تحري العدل والإنصاف، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط» [المائدة: ٨].
- ٣- التثبت والتوثق.
- ٤- الحرص على تراضي الطرفين.
- ٥- الحكمة في التعامل.
- ٦- إجازة الكذب لأجل الإصلاح، لقوله ﷺ «لا يحل الكذب إلا في ثلاث يحدث الرجل امرأته ليرضيها والكذب في الحرب والكذب ليصلح بين الناس»^(٤).
- ٧- الستر على المتخاصمين.
- ٨- الدعاء.
- ٩- الوعظ والتذكير.
- ١٠- مخاطبة المشاعر والأخلاق.
- ١١- تحقيق مفهوم الأخوة.
- ١٢- الحرص على تماسك المجتمع المسلم.

المطلب الرابع: النداء الرابع في سورة الحجرات

«يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون».

يشير هذا النداء إلى حقيقة جوهرية مرتبطة بأدب رفيع داخل المجتمع المسلم يصون كرامة الفرد «ولقد كرمنا بني آدم» [الإسراء: ٧٠]، وبدأ المقطع بمنهيات لا تناسب خلق المسلم، وكم نحتاج في عصرنا إلى تدبر هذا النداء خاصة لما نلاحظه من سوء الأخلاق بين المسلمين، وإن كان النداء قد نزل لسبب^(٥) إلا أن العبرة بعموم اللفظ

(١)- جامع البيان في تفسير أي القرآن: ج ٢٥ ص ٤٩١.

(٢)- صحيح مسلم: كتاب الإيمان باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (٧٤/١) رقم ٥٤.

(٣)- صحيح البخاري: باب بدء الوحي (٦/١) رقم ١ وصحيح مسلم: باب قوله ﷺ «إنما الأعمال بالنيات» (١٥١٥/٣) رقم ١٩٠٧.

(٤)- سنن الترمذي: كتاب البر والصلة (٣٣١/٤) رقم ١٩٣٩.

(٥)- القوم الرجال خاصة، لأنهم هم القوام بأمر النساء قال تعالى «الرجال قوامون على النساء» وهو في الأصل جمع قائم، تفسير النسفي: ج ٣ ص ٣٥٤.

(٦)- ذكر العلماء مجموعة من الأسباب لنزول هذا النداء. انظر أسباب النزول للواحدي ص ٢٩٤ ولباب النقول للسيوطي ص ١٨٢.

لأن فيه تقويما كسائر أمر الشرع. فالإسلام يدفع بأتباعه إلى الصورة الإيجابية لاستجاشة شعور الود وإحساس الألفة، فهو يدعو إلى إشاعة الكلمة الطيبة بين الناس ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ [الإسراء: ٥٣]، ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ [البقرة: ٨٣]، ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ [الفرقان ٦٣]، ومثل هذه الآيات كثير ^(١).

وقد بينت الآيات مساوئ ثلاثة على المؤمن أن يجتنبها:

- ١- السخرية. ٢- اللمز. ٣- التنازع بالألقاب.

وبيان ذلك كما يلي:

١- السخرية:

السخرية في اللغة: الاستهزاء، قال ابن منظور: «سخر منه وبه سَخَرًا وسَخَرًا ومسخرًا وسُخِرَ هُزئً به، وسخرت من ثلاث هي اللغة الفصيحة ^(٢)، قال تعالى: ﴿فيسخرون منهم سخر الله منهم﴾ [التوبة: ٧٩]، وقوله تعالى: ﴿إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم﴾ [هود: ٣٨]، والهزء إنما يترتب متى ضعف امرؤ لصغر أو لعلّة حادثة أو لرزية أو لنقيصة يأتيها، فنهى المؤمنون عن الاستهزاء في هذه الأمور وغيرها نهيًا عامًا ^(٣).

وهذا أول نهي في هذا النداء وقد أكد على أن الساخِر قد يكون معييا أكثر من المسخور منه، قال الزجاج: «عسى أن يكون المسخور منه خيرا من الساخرين، وكذلك عسى أن يكون النساء المسخور منهن خيرا من النساء الساخرات» ^(٤)، وقال النسفي: «والمعنى وجوب أن يعتقد كل واحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر إذ لا اطلاع للناس إلا على الظاهر ولا علم لهم بالسرائر، والذي يزن عند الله خلوص الضمائر فينبغي أن لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه إذ رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه غير لبيب في محادثته فلعله أخلص ضميرا وأتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقيقه من وقره الله» ^(٥)، وكما نهي النداء السخرية من رجل لرجل فكذا من امرأة لامرأة ﴿ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن﴾، قال الإمام القرطبي: «أفرد النساء بالذكر لأن السخرية منهن أكثر» ^(٦).

وفيه بصيرة على أن كرامة المرأة مثلها مثل كرامة الرجل بحكم البشرية قال تعالى: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ الذين خلقك فسواك فعدلك * في أي صورة ماشاء ربك ﴿[الانفطار: ٦-٨]، وقوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين: ٤]، فكما هم شقائق في الأحكام ^(٧) فهم كذلك شقائق في عدم النيل منهن.

(١)- انظر: فصلت ٣٤ والشورى ٣٧ و ٤٣، والتغابن ١٤ وآل عمران: ١٢٤.

(٢)- انظر لسان العرب: مادة سخر.

(٣)- المخر الوجيز: ج ٨٢ ص ١٤٤.

(٤)- معاني القرآن: ج ٥ ص ٣٦.

(٥)- تفسير النسفي: ج ٣ ص ٣٥٤، مدارك التنزيل وحقائق التأويل.

(٦)- الجامع لأحكام القرآن: ج ١٦ ص ٣٢٦.

(٧)- قال ﷺ: «النساء شقائق الرجال» سنن الترمذي: كتاب الطهارة، باب ما جاء فيمن يستيقظ فيجد بللا ولا يذكر احتلاما (١٨٩/١) رقم: ١١٣.

٢- اللمز:

واللمز والهمز: العيب والغض من الإنسان^(١)، وقال الطبري: اللمز باليد والعين واللسان والإشارة والهمز لا يكون إلا باللسان^(٢)، وجاء السياق «ولا تلمزوا أنفسكم» الآية، مثل قوله تعالى «ولا تقتلوا أنفسكم» [النساء: ٢٩] أي لا يقتل بعضكم بعضاً، لأن المؤمنين كنفس واحدة فكأن يقتل أخاه قاتل نفسه وكقوله: «فسلموا على أنفسكم» [النور: ٦١] أي يسلم بعضكم على بعض، والمعنى لا يعيب بعضكم على بعض^(٣)، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير: «لا يطعن بعضكم على بعض»^(٤)، وقال القرطبي في قوله «أنفسكم» نفسه، على أن العاقل لا يعيب نفسه فلا ينبغي أن يعيب غيره لأنه كنفسه^(٥)، ولقوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»^(٥).

٣- التنايز بالألقاب:

قيل أن النبز واللقب بمعنى واحد^(٦)، والجمع أنباز، والنبز- بالتسكين المصدر، تقول: نبزته نبزاً أي لقبه، ويقال النبز والنبز لقب سوء^(٧)، وقد كان سبب نزل قوله تعالى: «ولا تنايزوا بالألقاب» أن الرجل يكون له الاسمان أو الثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره^(٨).
والتنايز بالألقاب من سخريه البعض من البعض، قال الإمام الطبري: «نحى الله المؤمنين أن يتنايزوا بالألقاب، والتنايز بالألقاب هو دعاء المرء صاحبه بما يكره من اسم أو صفة، وعم الله نحيه ذلك ولم يخص به بعض الألقاب دون بعض، فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه أو صفة يكرهها»^(٩)، فمن حق المؤمن على المؤمن ألا يناديه بلقب يكرهه ويزري به ومن أدب المؤمن ألا يؤذي أخاه فهو إحياء لحقيقة القيم الإسلامية التي تصور المؤمنين بنفس واحدة، وختم الله هذا النداء بالوعيد لأولئك الذين يسخرون ويلمزون ويتنايزون بالألقاب «بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان» أي بئس أن يُسمى الرجل كافراً أو زانياً بعد إسلامه وتوبته^(١٠)، قال ابن عطية: «يحتمل معنيين: أحدهما بئس اسم تكتسبونه بعصيانكم ونبزكم بالألقاب فتكونون فساقاً بالمعصية بعد إيمانكم، والثاني بسبب قول الرجل لأخيه يا فاسق»^(١١)، وفي الصحيح: «أَيُّ أَمْرٍ قَالْ

(١)- معاني القرآن: الزجاج: ج ٥ ص ٣٦.

(٢)- جامع البيان في تفسير أي القرآن: الطبري: ج ٢٢ ص ٢٩٨.

(٣)- الجامع لأحكام القرآن: ج ١٦ ص ٣٢٧.

(٤)- المصدر نفسه.

(٥)- سبق تخريجه.

(٦)- معاني القرآن: الزجاج: ج ٥ ص ٣٦ ومجاز القرآن: أبو عبيدة ج ٢ ص ٢٢٠.

(٧)- الجامع لأحكام القرآن: ج ١٦ ص ٣٢٨.

(٨)- لباب النقول: السيوطي: ص ١٨٢.

(٩)- جامع البيان: ج ١١ ص ٢٩٣.

(١٠)- الجامع لأحكام القرآن: ج ١٦ ص ٣٢٨.

(١١)- المخرر الوجيز: ج ١٥ ص ١٤٧.

لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِمَا أَحَدُهَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعْتُ عَلَيْهِ»^(١) فمن فعل ما نهي من السخرية والهمز والنبز فذلك فسوق لا يجوز^(٢).

المطلب الخامس: النداء الخامس في سورة الحجرات

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا يَأْتِيكُمُ الْحَدِيثُ مِنَ الظَّنِّ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مِمَّا فُكِّرْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾^(٣).
الظن في القرآن الكريم على خمسة أوجه: أحدها اليقين، ومنه قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦] وقوله تعالى ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاَقٌ حَسْبِيَ﴾ [الحاقة: ٢٠].

وهذا النوع هو الأكثر في القرآن الكريم^(٤).

الثاني الشك: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

الثالث الحسبان: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ﴾ [الأنشقاق: ١٤].

الرابع: الكذب: كقوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ ظَنُّوا لَإِغْيَىٰ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨]^(٥).
قال ابن العربي: «الظن في الشريعة الإسلامية قسمان: محمود ومذموم، فالمحمود بدلالة قوله تعالى: ﴿إِنْ بَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢] وقال النبي ﷺ: «إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ، لَا مُحَالَةً، فَلْيُثْلُ: أَحْسِبْ فَلَانًا، إِنْ كَانَ يُرَىٰ أَنَّهُ كَذَلِكُ، وَلَا تُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا»^(٦)، وعبادات الشرع وأحكامه ظنيته في الأكثر^(٧).

وهذا النداء يقيم سياجا آخر في هذا المجتمع الفاضل الكريم حول خدمات الأشخاص به وكراماتهم وحرقاتهم، بينما يعلم الناس كيف يُنظفون مشاعرهم وضمائرهم، فالنداء الماضي حذر المؤمن من أن يقع في ثلاث مساوئ فكذلك هذا النداء فهو يطرق ضمير المؤمن من أن يتلبس بثلاث مساوئ.

إحداها: الظن:

وقد بينت مفاهيمه في الصفحة الماضية، وكأنني بهذا النداء يطهر القلب من داخله أن يتلوث بسوء الظن فيقع في الإثم، ويدعه نقيًا من الهواجس والشكوك، أبيض يكتن لإخوانه المودة التي يحدثها ظن الخير، والبراءة التي لا تلوثها الرب والشكوك، والطمأنينة التي لا يعكرها القلق والتوقع، وما أروع الحياة في مجتمع بريء من الظنون.

(١) - صحيح مسلم: كتاب الإيمان باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر (٧٩/١) رقم ٦٠.

(٢) - الجامع لأحكام القرآن: ج ١٦ ص ٣٢٨.

(٣) - جاء في اللسان أن الظن شك ويقين إلا أنه ليس يقين عيان وإنما هو يقين تدبر، فأما يقين العين فلا يقال فيه إلا علم. لسان العرب: مادة ظنن. وقال الجرجاني: «الظن استعمال في نفي الشك وهو التردد بين النقيضين بعد ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشك». التعريفات: ص ٦٨. وقال الزبيدي: «الظن هو التردد الراجح بين طريقي الاعتقاد الغير الجازم» تاج العروس: ج ٩ ص ٢٧١.

وقال الراغب: «الظن اسم لما يحصل عن أمانة ومتى قويت أدت إلى العلم وحتى ضعفت أدت إلى التوهم» مفردات الألفاظ: ج ٢ ص ٥٤.

فحقيقة الظن تجوز أمرين في النفس لأحدهما: ترجيح على الآخر والشك عبارة عن استوائهما والعلم هو حذف أحدهما وتعيين الآخر، أحكام القرآن: ابن العربي: ج ٤ ص ١٧٢٤.

(٤) - انظر مقاييس اللغة: ابن فارس: ج ٣ ص ٤٦٢.

(٥) - انظر نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ابن الجوزي: ج ١ ص ٤٢٥ و ٤٢٦.

(٦) - صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق باب النهي عن المدح.

(٧) - أحكام القرآن: ج ٤ ص ١٧٢٤ ولم يذكر القسم المذموم، وأشار في تفسيره وقد حققناه في كتب الأصول يشير إلى كتابه المصنوع في أصول الفقه.

قال ابن كثير: «يقول الله تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله، لأن بعض ذلك يكون إنما محضاً فليتنجب كثير منه احتياطها»^(١)، وقال الزجاج: «أمر الله عز وجل باجتناب كثير من الظن وهو أن تظن بأهل الخير سوءاً إذا كنا نعلم أن الذي ظهر منه خير»^(٢)، وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن سعيد بن المسيب قال كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ أن ضع أمر أحيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك ولا تظن بكلمة خرجت من أمري مسلم شراً وأنت تجد لها من الخير محملاً، ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه»^(٣).

وقد حذر رسول الله ﷺ من سوء الظن فقال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تدابروا ولا تباعضوا وكونوا عباد الله إخواناً»^(٤).

ونخلص من هذا إلى أن سوء الظن من أبشع الخصال التي يمكن أن يوصم بها الإنسان، وكما فرق من عوائل وأصدقاء وأحبة، وهو ثمرة سلبية وسبب في زوال الثقة بين الناس، وعندما تزول الثقة فإن عملية التعاون والتكافل بين المجتمعات تزول ويأتي التباعد والتفاحش والغربة والوحشة، وهذا من أشد الآثار السلبية لسوء الظن، كما يؤدي إلى تدمير وتخريب الهدوء النفسي والروحي.

وسوء الظن يقدر في عدالة صاحبه ذكر الأردبيلي: «جملة - مما يقدر في العدالة - هجر المؤمن.. النسيمة..

سباب المؤمن.. سوء الظن والغيبة والبهتان.. وطلب عثرات المؤمنين وعوراتهم والاستهزاء والسخرية منهم»^(٥). ويشير عبد الله المطلق عضو منطقة الرياض إلى أن سوء الظن من البلاء العظيم الذي حل بالمجتمع فقطع أواصر العلاقات ومزق الصلة بين الإخوة والأخوات والأرحام والقربان، وسوء الظن منشؤه تفسير تصرفات الآخرين، ويعتد سوء الظن وتخوين الأهل والأصدقاء والناس ميزان في غير محله^(٦)، ولذا جاء الوعيد من سياق الآية ﴿إِنْ بَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾، وقد عد المهشمي سوء الظن بالمسلم الذي ظاهره العدالة من الكبائر، لما جاء عن النبي ﷺ في الحديث السابق ذكره: «إياكم الظن فإن الظن أكذب الحديث»^(٧).

وقد أشار ﷺ إلى علاج لهذا الداء فقال: «ثلاث لازمت لأمتي الطيرة والحسد وسوء الظن، فقال رجل وما يذهبن يا رسول الله؟ قال ﷺ: «إذا حسدت فاستغفر الله وإذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض»^(٨).

٢- التجسس:

جاء في اللسان أن التجسس التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، والجاسوس العين يتجسس

(١)- تفسير القرآن العظيم: ج ٤ ص ٢١٢.

(٢)- معاني القرآن: ج ١ ص ٣٦.

(٣)- روضة الغفلاء ونزهة الفضلاء: ابن حبان: ص ٦٩.

(٤)- صحيح البخاري: كتاب الأدب باب ما ينهي عن التحاسد والتدابير (١٩/٨) رقم ٦٠٦٤.

(٥)- صاحب الجواهر: محمد حسن: ص ٦٠.

(٦)- وهذه العبارة الأخيرة اقتبسها الباحث من ابن كثير. انظر تفسير القرآن العظيم: ج ٤ ص ٢١٢.

(٧)- سبق تخريجه.

(٨)- الطبراني في الكبير: (٢٢٨/٣) رقم ٣٢٢٧، إسناده ضعيف. انظر لسان الميزان: ج ١ ص ٤٢٩ وضعفه الألباني في الضعيفة رقم ٤٠١٩، وتفسيره كما قال المناوي: «لأن الحسد واقع في النفس كأنها مجبولة عليه فلذلك غدرت فيه، فإذا استرسلت فيه بمثلها وفعالها كانت باغية ومخرجه من الطيرة وهي التشاؤم أن لا يرجع عن مقصده بل يعزم ويتوكل على ربه، ومخرجه من الظن أن لا يحقق فلا يعمل بمقتضاه بل يتوقف عن القطع والعمل به» انظر: فيض القدير ج ٣ ص ٤٠٢.

الأخبار ثم يأتي بها، وهو صاحب سر الشر^(١)، وفي الاصطلاح البحث عن العورات والمقاييس وكشف ما ستره الناس^(٢)، وقد قرئت «ولا تحسسوا» بالحاء غير منقوطة^(٣)، وقيل معناها واحد، فالتحسس بالحاء المهملة طلب الشيء بالحاسة، والتحسس بالجيم مثله، وقيل باختلاف اللفظتين فالتحسس بالجيم البحث عن عورات النساء، وبالحاء الاستماع لحديث القوم، وسئل ابن عباس عن الفرق بينهما فقال: التحسس في الخير والتحسس في الشر^(٤). ويؤيد ذلك قوله تعالى حكاية عن يعقوب: «يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف» [يوسف: ٨١] بالحاء، وقوله «ولا تحسسوا» بالجيم، فإن المنهي عنه البحث عن معائب الناس وأسرارهم التي لا يرضون بإفشائها واطلاع الغير عليها^(٥). وقال أبو عمرو بن العلاء: «التحسس ما كان من وراء وراء والتحسس بالحاء الدخول والاستعلاء»^(٦)، وقال الترمذي: «التحسس بالحاء وهو طلب أخباره والفتش عنه شفقة ونصحا واحتياطها فتطيب نفسه لطيب أخباره وحسن حاله، والتحسس بالجيم أن تفتش عن أخبار مغطية مكروهة، أي تعلم بها فتستخرجها بفتشك لهتك الستور والكشف عن العورات والمساوي»^(٧).

وقال البغوي: «نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من أمور الناس وتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها»^(٨)، وقد فسر الإمام مجاهد قوله تعالى: «لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يغونكم الفتنه وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين» [التوبة: ٤٧] «معناه وفيكم محبون لهم يؤدون إليهم ما يسمعون منكم وهم الجواسيس»^(٩)، وقد شدد رسول الله ﷺ الوعيد لمن كانت هذه صفاته فقال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من اتبع عوراتهم اتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»^(١٠). وقد تحدث العلماء كثيرا عن التحسس وخطره^(١١).

وللتحسس آثار وخيمة على المجتمع إذ هو سبيل إلى قطع الصلات وتقوض العلاقات وظهور العداء بين الأحبة وبث الفرقة بين الإخوان فقد يرى المتحسس من المتحسس عليه ما يسوءه فتنشأ عنه العداوة، والحقد يدخل صدره الحرج والتخوف بعد أن كانت ضمائره خالصة طيبة، وذلك من نكد العيش^(١٢). وتحذير هذا النداء «ولا تحسسوا» هو ليعيش الناس آمنين على أنفسهم وآمنين على بيوتهم وآمنين على أسرارهم، ولا يوجد مبرر لانتهاك

(١)- انظر: تهذيب التهذيب للأزهري ولسان العرب لابن منظور وتاج العروس للزبيدي، مادة جسس ويقال «التبث» مجاز القرآن، أبو عبيدة ج ٢ ص ٢٢٠.

(٢)- التفسير المنير: الزحيلي: ج ٢٦، ص ٢٤٧.

(٣)- وهي قراءة الحسن وأبي رجاء والهاديين: المحرر الوجيز: ابن عطية ج ١٥ ص ١٤٨.

(٤)- الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري: ١١٨.

(٥)- المصدر نفسه: ص ١١٧.

(٦)- المحرر الوجيز: ابن عطية: ج ١٥ ص ١٤٩.

(٧)- تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين: النحاس: ص ٤٩.

(٨)- تفسير البغوي: ج ٧ ص ٣٤٥.

(٩)- المصدر نفسه: ج ٤ ص ٥٦.

(١٠)- مسند أحمد: ج ٤ ص ٤٢٠ رقم الحديث ١٩٧٩١.

(١١)- انظر: روض العقلاء: ج ١ ص ١٢٥ و ١٢٦- ١٢٨. وجامع البيان: ج ٢٢ ص ٣٠٤ و ٣٠٥. وتفسير ابن أبي حاتم: ج ١٠ ص ٣٢٥٠. وتفسير

وتفسير القرآن العظيم: ج ٤ ص ٢١١.

(١٢)- التحرير والتنوير: ابن عاشور: ج ٢٦ ص ٢٥٤.

حرمات الأنفس والبيوت والأسرار، وقد جاء الشرع لمقاومة هذا العمل الديني لتطهير القلب من مثل هذا الاتجاه اللئيم لتتبع عورات الآخرين وكشف سوءاتهم، وهذه المقاومة مبدأ من مبادئ الإسلام الرئيسية في نظامه الاجتماعي وفي إجراءاته التشريعية والتنفيذية.

٣- الغيبة:

«ولا يغتب بعضكم بعضاً أيح أحكمكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه» فبعد التحذير من التجسس يأتي النهي عن الغيبة «ولا يغتب بعضكم بعضاً»، وفي سياق الآية مشهد تتأذى له أشد النفوس كثافة وأقل الأرواح حساسية «أيح أحكمكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً»، قال الأستاذ المراغي: «أي يحب أحكمكم أن يأكل لحم أخيه بعد مماته؟ فإذا كنتم لا تحبون ذلك بل تكرهونه لأن النفس تعافه فكذلك فأكروها أن تغتابوه في حياته، والخلاصة إنكم كما تكرهون ذلك طبعاً فأكروها ذلك شرعاً لما فيه من شديد العقوبة»^(١).

وقد صور حديث رسول الله ﷺ ذلك تصويراً رائعاً بأن ما عزا جاء إلى النبي ﷺ فشهد على نفسه بالزنى فرجحه رسول الله ﷺ فسمع عليه الصلاة والسلام رجلين يقول أحدهما للآخر انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب فسكت عنهما ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال: أين فلان وفلان: فقالا ذا نحن يا رسول الله: قال: انزلا فكلنا من جيفة هذا الحمار، فقالا: يا نبي الله ومن يأكل من هذا؟ قال: فما نلتما من عرض أخيكما أشد من الأكل منه والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها»^(٢).

وقال ابن عباس: «إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة لأن أكل لحم الميت حرام مستقذر وكذا الغيبة حرام في الدين وقبيح في النفوس»^(٣).

والغيبة أن يتكلم خلف إنسان مستور بما يغمه لو سمعه، فإذا كان صادقاً سمي غيبة وإن كان كاذباً سمي بهتاناً، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الغيبة ذكرك أحاك بما يكره، قيل أفرأيت إن كان فيه ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»^(٤). والبهتان أشد من الغيبة.

وقد قسم الحسن الغيبة إلى ثلاثة أوجه:

١- الغيبة: أن تقول في أخيك ما هو فيه.

٢- الأفك: أن تقول فيه ما بلغك عنه.

٣- البهتان: أن تقول فيه ما ليس فيه^(٥).

وقد ذكر سلف هذه الأمة نصوصاً تحذر من هذه الآفة^(٦) التي ابتلي بها المجتمع في زماننا حتى أنك ترى بعضاً

(١)- تفسير المراغي: ج ٢٦ ص ١٤٠.

(٢)- سنن أبي داود، كتاب الحدود باب رجم ماعز بن مالك (١٤٨/٤) رقم ٤٤٢٨.

(٣)- الجامع لأحكام القرآن: ج ١٦ ص ٣٣٥.

(٤)- الصحاح في اللغة: الجوهري: ج ١ ص ١٩٦.

(٥)- صحيح مسلم: رقم الحديث ٦٧٥٨ كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الغيبة (٢٠٠١/٤) رقم ٢٥٨٩.

(٦)- الجامع لأحكام القرآن: ج ١٦ ص ٣٣٥.

(٧)- انظر: الترغيب والترهيب: المنذري: ج ٣ ص ٣٢٩. وعيون الأخبار: الدينوري: ج ٢ ص ١٦. والمجالسة وجوامع العلم: الدينوري: ج ٦ ص ٨٦ و ٣ ص ٥٤ و ٤٢ ص ٢٥. ومكارم الأخلاق: الخراطمي: ج ٢ ص ٢٠٧. والتوبيخ والتنبيه: الأصبهاني: ص ٨٣. وسير أعلام النبلاء: الذهبي: ج ٨ ص ٨٧. وبغية

منهم تبريرا للغيبة يقدم بين يديها - الله يهديه فلان فعل كذا وكذا أو قال كذا وكذا. وهناك استثناء لهذه القاعدة - الغيبة - ذكرها الإمام القرطبي في القسم التاسع من تفسيره للآية «ولا يغتب بعضكم بعضا» فقال: «ليس من هذا الباب غيبة الفاسق المعلن به المجاهر فإن في الخبر «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له» وقال ﷺ «أذكروا الفاجر بما فيه كي يحذر الناس»^(١) ، وروي عن الحسن أنه قال ثلاثة ليست لهم حرمة: صاحب الهوى والفاسق المعلن والإمام الجائر»^(٢) ، وقال الإمام النووي «الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها وهو ستة أسباب:

الأول: التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر فلا يعمل كذا فاجره عنه ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر فإن لم يقصد ذلك كان حراما.

الثالث: الاستفتاء فيقول: ظلمي أبي، أو أخي أو زوجي أو فلان بكذا فهذا جائز للحاجة لكن الأحوط والأفضل أن يقول ما تقول في رجل أو شخص أو زوج كان من أمره كذا فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين ومع ذلك فالتعيين جائز.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من وجوه منها:

- جرح المجرحين من الرواة والشهود. وذلك جائز بإجماع المسلمين بل واجب للحاجة.
- المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو معاملته أو إيداعه أو غير ذلك، أو مجاورته ويجب على المشاور ألا يخفي حاله بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة.
- وإذا رأى متفقهها يتردد إلى مبتدع أو فاسق يأخذ عنه العلم وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك فعليه نصيحته ببيان حاله بشرط أن يقصد النصيحة.
- أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها إما بالأبلا يكون صالحا، وإما بأن يكون فاسقا أو مغفلا ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله، ويولي من يصلح أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله ولا يغتر به وأن يسعى أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.
- الخامس: أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر فيجوز ذكره بما يجاهر به ويحرم ذكره بغيره من العيوب إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.
- السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفا بقلب كالأعمش والأعرج والأصم والأعمى والأحوال غيرهم جاز تعريفهم بذلك ويحرم إطلاقه على جهة التنقص ولو أمكن تعريفهم بغير ذلك كان أولى^(٣).
- ومن رحمانية الله أنه تعالى أعقب كل ما نحى عنه في الآية من ظن وتجسس وغيبة باستحاشة شعور التقوى والتلويح

الطلب في تاريخ حلب: ج ٨ ص ٣٥٨٤. وشرح صحيح البخاري: ابن بطال: ج ٩ ص ٢٤٥. والأذكار النووية: ص ٣٤٠. والزهد: وكيع بن الجراح: ص ٢٠٩.

(١)- رواه ابن أبي الدنيا في الغيبة رقم ٨٤ وابن حبان في المجرحين: ج ١ ص ٢٢٠ وجاءت الحديث من طريق أبي الضحاك الجارود بن يزيد عن يزد بن حكيم عن أبيه عن جده وهذا إسناد ضعيف جدا يسبب الجارود بن يزيد، جاء في ترجمته في ميزان الاعتدال: كذبه أبو أسامة وضعفه علي وقال يحيى ليس شيء، وقال أبو داود غير ثقة وقال النسائي والدارقطني متروك وقال أبو حاتم كذاب: ج ٢ ص ١٠٨.

(٢)- انظر: الجامع لأحكام القرآن: ج ١٦ ص ٣٣٩.

(٣)- رياض الصالحين: ص ٤٥٠ و ٤٥١.

لمن اقترف من هذا شيئاً أن يبادر بالتوبة تطلعاً للرحمة ﴿واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾. ومن بيان هذه النداءات للمؤمن أنها بدئت بالتقوى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله﴾ وختمت بالتقوى ﴿واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾.

المطلب السادس: النداء السادس في سورة الحجرات

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾. إذا كانت النداءات السابقة تخاطب المجتمع المؤمن ليرقى بهم في المدارج السامقة والأفق السامية ويحصنه من كل ما يفسده يأتي هذا النداء لتشترك فيه البشرية كلها - يا أيها الناس - خطاب عام كمثله من الخطابات العامة - يا أيها الإنسان - يا بني آدم - يا عبادي - وتبقى هذه الخطابات على عمومها إلا أن تأتي قرينة تصرفها عن ذلك، فهو نداء يرد الناس إلى ذكرى نشأتهم الأولى من نفس واحدة، ويوقظ في وجدانهم شعور النسب والقربى ويذكرهم أخوتهم في المنشأ والمصير كما تشير الآية الأولى من سورة النساء ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ فهم شرك في وحدة الخلق ﴿أحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يكن نطفة من مني يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ [القيامة: ٣٦-٣٩]، فعن جابر بن عبد الله قال: «مرت بنا جنازة فقام النبي ﷺ وقمنا فقال رجل يا رسول الله إنما جنازة يهودي، فقال: أو ليست نفساً؟ إذا رأيتم الجنازة فقوموا» ^(١) وقوله ﷺ «أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ» ^(٢)، ومن ثم يشترك الآدميون في:

- ١- التكريم: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ [الإسراء: ٧٠].
- ٢- التقويم: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين: ٤].
- ٣- التسوية: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ الذين خلقك فسواك فعدلك* في أي صورة ما شاء ركبك.

- ٤- نفي الظلم: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ [فصلت: ٤٦] ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ [الكهف: ٤٩].
- ٥- العدل: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة: ٨].
- ٦- العهد: وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ [النحل: ٩١].
- ٧- الحوار: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ [سبأ: ٢٤].
- ٨- الأخوة البشرية: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ [الحجرات: ١٣].
- ٩- الجوار: وهذا الحق يترتب عليه مساعدته وعدم ظلمه قال ابن حجر: «واسم الجار يشمل المسلم والكافر والعابد والفاسق والصديق والعدو والغريب والبلدي والنافع والضار والقريب والأجنبي، والأقرب داراً والأبعد، وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأولى كلها ثم أكثرها» ^(٤). وأوضحت الآية ٣٦ من سورة النساء هذه المبدأ ^(٥).

- ١٠- الرحمة: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧] قال ابن عباس: «فهو عام في حق من آمن ولم

(١)- صحيح البخاري: كتاب الجنائز باب من قام لجنازة (٨٥/٢) رقم ١٣١١.

(٢)- سنن أبي داود: كتاب الأدب باب في التفاخر بالأحساب (٣٣١/٤) رقم: ٥١١٦.

(٣)- صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظلم (١٩٩٤/٤) رقم ٢٥٧٧.

(٤)- فتح الباري: ج ١٠ ص ٤٤٢.

(٥)- قوله تعالى: ﴿وأعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب﴾.

لم يؤمن فمن أمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنهم»^(١) ، ولنأخذ نماذج من سيرته ليتضح لنا الأمر ففي قصة الطائف حينما آذوه أهل الطائف فقال: «أرجو أن يخرج الله من أصلاهم من يعبد الله وحده»^(٢) ، وفي فتح مكة «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(٣) . ومنها أنه لم يدع على مخالفه فعن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله ادع على المشركين قال: إنما بعثت رحمة للعالمين ولم أبعث لعنا»^(٤) ، وفي رواية «عذابا»^(٥) بل دعا لقومه رغم عدم الاستجابة لدعوته «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»^(٦) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: جمع في هذه ثلاثة أمور: العفو عنهم والاستغفار لهم والاعتذار عنهم بأنهم لا يعلمون^(٧) ، وجعل تلميذه ابن القيم لهذا الدعاء أربع مقامات: إحداها عفوهم عنهم، والثاني استغفارهم لهم، والثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون، والرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال اغفر لقومي^(٨) .

فما أروع هذا النداء: «يا أيها الناس» والذي ينادي هذا النداء هو الذي خلقكم من ذكر وأنثى وهو الذي يطعكم على الغاية من جعلكم شعوبا وقبائل إنما ليست للتناحر والخصام فرغم نزوله-يا أيها الناس- لسبب^(٩) ، إلا أن عموم لفظه يسقط جميع الفوارق، وحسد خطاب رسول الله ﷺ ذلك جليا «يا أيها الناس إن ربكم واحد وأباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا أسود على أحمر ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى»^(١٠) ، ومن مشهور شعر علي بن أبي طالب.

أبوهم آدم والأم حواء	الناس من جهة التمثيل أكفاء
وأعظم خلقت فيهم وأعضاء	نفس كنفس وأرواح مشاكلة
يفاخرون به فالطين والماء	فإن يكن لهم من أصلهم حسب
على الهدى لمن استهدى أدلاء	ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم
والجاهلون لأهل العلم أعداء	وقيمة المرء ما قد كان يحسنه
فالناس موتى وأهل العلم أحياء ^(١١)	فقم بعلم ولا تطلب به بدلا

ما أجمل هذا النداء- يا أيها الناس- أي الناس جميعهم من غير تعيين للون والدين والطبقة والشخص، دون تمييز، وهنا عمدة الإسلام ألا يكون لأحد ميزة على الآخر من حيث الخلقة لأن المنادي هو خالقهم جميعا فنأداهم

(١)- جامع البيان: الطبري: ج ١٨ ص ٥٥١ .

(٢)- انظر القصة كاملة: كتاب المغازي باب غزوة الطائف. والسير النبوية لابن هشام ج ١ ص ٤٢٠ .

(٣)- السيرة النبوية لابن هشام: ج ٤ ص ٩٤ .

(٤)- الأدب المفرد مخرجا (ص: ١١٩) رقم: ٣٢١ .

(٥)- الخصائص الكبرى في باب اختصاصه بأنه بعث رحمة للعالمين . انظر: مجموعة الأربعين من أحاديث سيد المرسلين يوسف بن إسماعيل النبهاني: ص ١٥٩ .

(٦)- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الغار(١٧٥/٤) رقم: ٣٤٧٧ .

(٧)- جامع المسائل: ج ١ ص ١٦٧ .

(٨)- بدائع الفوائد: ج ٢ ص ٢٤٣ .

(٩)- انظر: أسباب النزول الواحدي: ص ٢٩٥ ، ولباب النقول السيوطي: ص ١٨٢ ، الجامع لأحكام القرآن: ج ١٦ ص ٣٤٢ ، المخرر الوجيز: ج ١٥ ص ١٥٢ .

(١٠)- مسند أحمد (٣٨ / ٤٧٤) رقم: ٢٣٤٨٩ .

(١١)- ديوان علي بن أبي طالب: ص ٧ .

من حيث اختلاف أجناسهم والمتفرقون شعوبا وقبائل وجعل الغاية والهدف التعارف «لتعارفوا»^(١) ، والتعارف من خصائص الإسلام فرب محمد ﷺ ليس ربا محليا أو إقليميا أو عرقيا أو عنصريا بل هو «رب العالمين» [الفاحة: ٢] «رب الناس» [الناس: ١] ورسوله أرسله «رحمة للعالمين» [الأنبياء: ١٠١] «قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا» [الأعراف: ١٥٨] «وما أرسلناكم إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا» [سبأ: ٢٨] وقوله ﷺ «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت للناس كافة»^(٢) ، والدين كله ليس للعرب وحدهم «إن هو إلا ذكر للعالمين» [ص: ٨٧] «إن هو إلا ذكرى للعالمين» [الأنعام: ٩٠]، فإذا كان الرب رب العالمين ورسوله عالميا ودينه عالميا وقرآنه عالميا فلا بد أن يدعو هذا الدين للتفاعل مع العالمين، وللتعارف مع شعوب العالمين ميزات، منها:

- ١- انتفاء نية النزاع والصدام.
 - ٢- انتفاء النزعة الاستعمارية وشبهات الهيمنة.
 - ٣- انتفاء ازدواجية المعايير في التعامل من قبيل «ليس علينا في الأميين سبيلا» [آل عمران: ٧٥] أو كما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون «إنما الأميون حمير وكلما نفق حمار ركبنا حمارا آخر»^(٣) .
- هذا من حيث السلب أما من حيث الإيجاب، فمن ميزات التعارف:
- ١- الاعتراف بالحق في الوجود والتنوع والاختلاف.
 - ٢- الاستماع المتبادل للأفكار والتصورات.
 - ٣- تبادل العلوم والمعارف دون احتكار لها.

وهذا في مجال التعاون بين العالمين قال مستر جب في كتابه - إلى أين يتجه الإسلام -: «لكن الإسلام ما زال في قدرته أن يقدم للإنسانية خدمة سامية جليلة فليس هناك أي هيئة سواه يمكن أن تنجح نجاحا باهرا في تأليف الأجناس البشرية المتنافرة في جهة واحدة أساسها المساواة»^(٤) ، والإنسان متعاون مع أخيه الإنسان وهذا من سنة الله في خلقه - ولولاه لما استطاع أن يبدأ حياته ولما استمر توالد الإنسان، ومنذ أن خلق الله آدم خلق له حواء ليتعاونوا معا على إخصاب الحياة وإيجاد الذرية وإنشاء المجتمع، فالتعاون ظاهرة قديمة جدا قدم الخلق، انتقل من الاثنين إلى الأسرة ومن الأسرة إلى القبيلة ومن القبيلة إلى الأمة إلى المجتمع كله، وقد ضرب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب المثال الناصع بهذا المفهوم فقد رأى ضريرا يسأل على باب، فسأل عنه، فعلم أنه يهودي فقال له: ما لجأك إلى ما أرى؟ قال الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده وذهب إلى منزله فأعطاه ما يكفيه ساعتها، وأرسل إلى خازن بيت المال. انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم»^(٥) .

(١)- وقرأها الأعمش «لتعارفوا» وقرأ عبد الله بن عباس «لتعرفوا» أن على وزن تفعلوا بكسر العين وفتح الألف من أن وإعمالا لتعرفوا فيها. ويحتمل على هذه القراءة أن تكون اللام في قوله «لتعرفوا» لام كي ويضطرب معنى الآية مع ذلك، ويحتمل أن محذوف تقديره الحق، وإذا كانت لام كي فكأنه قال: يا أيها الناس أنتم سواء من حيث أنتم مخلوقون لأن تعارفوا ولأن تعرفوا الحقائق، المحرر الوجيز: ج ١٥ ص ١٥٤. وقال ابن جني: «لتعرفوا» وفي الآية حذف: المفعول به. المحتسب: ج ٢ ص ٤٠٧.

(٢)- وهذه خصوصياته ﷺ فعن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فإني أركبها من أيدي أركانها، وأحل لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة». صحيح البخاري: كتاب التيمم باب ١ (١/ ٧٤) رقم الحديث ٣٣٥.

(٣)- بروتوكولات حكماء صهيون: محمد خليفة التونسي.

(٤)- مقال نشر ١٧ سبتمبر ٢٠٠٨ يبرز فيه وساطة الإسلام في صحيفة الاتحاد.

(٥)- المجتمع المتكافل في الإسلام: الدكتور عبد العزيز الحياض: ص ٢٣٢.

وختمت السورة النداء بخصلة ترقى بالإنسان إلى السمو والرقى ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾، قال الإمام القرطبي: «وفي هذه الآية ما يدل على أن التقوى هي المراعى عند الله تعالى وعند رسوله دون الحسب والنسب، وقرئ {أَنْ} بالفتح. كأنه قيل لم يتفاخر بالأنساب؟ قيل لأن أكرمكم عند الله اتقاكم لا أنسبكم»^(١)، وقال الإمام الطبري: «إِنْ أَكْرَمَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَشَدُّكُمْ اتِّقَاءً لَهُ بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ لَا أَعْظَمَكُمْ بَيْتًا وَلَا أَكْثَرَكُمْ عَشِيرَةً»^(٢).

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

١. تستهدف سورة الحجرات صلاح الفرد المسلم والمجتمع المسلم من خلال استهداف تطهيره وتنقيته من جهة ومن خلال تطويره وتنميته من جهة أخرى.
٢. تتجه النداءات في سورة الحجرات اتجاهاين رئيسين: اتجاه النهي لتجنب السلبيات، واتجاه الأمر لتنمية الإيجابيات، وهذان الاتجاهان هما من أهم ركائز التربية الإسلامية للفرد والمجتمع.
٣. من المناهي السلبية التي حققها النداءات في السورة: النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله بشيء من الأشياء، والنهي عن التساهل في احترام النبي صلى الله عليه وسلم، والنهي عن الظن السيئ والسخرية واللمز والتنازع بالألقاب والغيبة والنميمة والتجسس والتحسس.
٤. ومن الأوامر الإيجابية التي حققها النداءات في السورة: التثبت في التعاملات المجتمعية، والفتنة لأصحاب الفتن والمستهدفين تمزيق المجتمع، وحمل الناس على الخير وحسن الظن بهم ما داموا مظهرين الخير مداومين عليه، وتشجيع أسس التقارب والتعارف بين أفراد المجتمع، والتنافس بالعمل الصالح والتشجيع عليه، والمبادرة الدائمة بإصلاح أي خلل أو مشكلات تضر بالفرد والمجتمع.
٥. وضعت النداءات في السورة عددا من السياجات التي تحفظ للفرد والمجتمع كرامته وإنسانيته، والتي تدعوه للفاعلية الإيجابية المثمرة.
- ومن تلك السياجات التحصينية للفرد والمجتمع: الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية، وتعزيز التلاحم المجتمعي من خلال بناء الأخوة والمحافظة عليها ومعالجة كل ما يضر بها، واستهداف نظافة المجتمع من أمراض التدمير والتفكيك، كالتفاضل على أساس عرقي أو طبقي، وكتحقير الناس والسخرية منهم أو ملاحظتهم وإقلاق سكينتهم.
٦. بينت نداءات السورة أن استهداف الصلاح للمجتمع لا يخص المؤمنين فقط، وإنما يشمل كل أفراد المجتمع أيا كان دينهم وجنسهم.. وبينت أن الفرق بين المؤمن وغيره في المجتمع المؤمن إنما هو في زيادة التكاليف والمسؤوليات على المؤمن بحكم أنه يجسد المثل العليا في الدين الحق.
٧. أكدت النداءات في السورة أن المجتمعات تبنى على جهود كل أبنائها من غير تمييز حتى على مستوى الدين والملة. فال بشرية جميعا تشترك في إقامة حياة سعيدة فاضلة أو العكس. وغير المؤمنين مخاطبون بإنسانيتهم وعقولهم على الأقل.
٨. موجب النداء في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ إن أكرمكم

(١)- الجامع لأحكام القرآن: ج ١٦ ص ٣٤٦.

(٢)- جامع البيان: ج ٢٢ ص ٣١٠.

عند الله أتقاكم». يظهر من ثلاث جهات: الأولى هي: أن الإسلام دين عالمي، وهو قادر على أن يقدم للإنسانية خدمات سامية جليلة فليس هناك أي هيئة سواه يمكن أن تنجح في تأليف الأجناس البشرية المتنافرة في جهة واحدة أساسها المساواة، وهو قادر على تعزيز رفعة البشرية ورفيها في كل اتجاه.

والجهة الثانية هي: أن الأصل بين البشر هو التعارف والتعاون والمساواة، ولا يفرق بينهم سوى العمل بما يقرهم للتقوى والصالح.

والجهة الثالثة هي: أن ما يجمع البشر من الروابط أكثر مما يفرقهم من المصالح، والأصل أن يعيشوا على هذا الأساس في وئام وسلام.

ثانيا: التوصيات:

وصيتي للباحثين أن يستهدفوا إبراز الهدايات القرآنية في أبحاثهم، فالقرآن هو أساس الصلاح ومنهاجه. وأؤكد على أن يقصدوا الجوانب الاجتماعية الملحة في هذا العصر، فيكون في ذلك بيان ودعوة وإصلاح في نفس الوقت.

المصادر والمراجع

- (١) الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- (٢) أحكام القرآن: أبو بكر بن العربي المالكي: (ت ٥٤٣هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- (٣) الأحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد التغلبي الأمدي سيف الدين أبو الحسن (ت ٦٣٦هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي.
- (٤) أخلاق العلماء: أبو بكر بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي (ت ٣٦٠هـ)، إدارة رئاسة البحوث العلمية، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- (٥) الأذكار النووية: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (ت ٦٧٦هـ)، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- (٦) أسباب النزول: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، دار الإصلاح. الدمام، المملكة العربية السعودية.
- (٧) أسلوب النداء في القرآن الكريم: دراسة تطبيقية في السور المكية: عبد الرحمن بن أحمد المقرئ، رسالة ماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها: جامعة مؤتة، ٢٠٠٧م.
- (٨) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد بن أمين محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، دار الفكر. بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- (٩) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين (ت ٧٧٤هـ)، الطبعة العلمية.
- (١٠) البرهان في تناسب سور القرآن: أحمد بن إبراهيم الزبير الثقفي الغرناطي أبو جعفر (ت ٧٠٨هـ)، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان.

- (١١) بغية تاريخ الطلب في تاريخ حلب: كمال الدين بن العديم عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت ٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور سهيل زكار، دار الفكر.
- (١٢) تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، دار الهداية.
- (١٣) التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى بابي الحلبي، ١٩٧٦م.
- (١٤) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- (١٥) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان.
- (١٦) تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، البايع الحلبي، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م.
- (١٧) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.
- (١٨) تناسق الدرر في تناسب السور: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان.
- (١٩) تهذيب اللغة: محمد بن أحمد الأزهرى أبو المنصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- (٢٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
- (٢١) جامع البيان في تفسير آي القرآن: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- (٢٢) الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد، القرطبي: (ت ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
- (٢٣) الحجة للقراء السبعة: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ١٩٧١م.
- (٢٤) حلية الأولياء وطبقة الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)، دار الخانجي، القاهرة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- (٢٥) ديوان الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة أبو فارس الفرزدق، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- (٢٦) ديوان علي بن أبي طالب، جمع وترتيب عبد العزيز كرم، دار المعرفة. بيروت، الطبعة الأولى.
- (٢٧) دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

- (٢٧) الرسالة: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، القاهرة.
- (٢٨) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- (٢٩) رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين: محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار ابن الجوزي، تحقيق: علي بن الحسن بن علي الحلبي الأثري. الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- (٣٠) سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني: تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العلمية، الطبعة الأولى.
- (٣١) سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة بابي الحلبي، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- (٣٢) سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي (ت ٢٥٥هـ)، دار البشائر الإسلامية.
- (٣٣) شرح صحيح البخاري: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطلال (ت ٤٤٩هـ)، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- (٣٤) صحيح ابن حبان: محمد بن حبان أبو حاتم البستي: (ت ٣٥٤هـ)، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- (٣٥) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ)، دار ابن كثير، بيروت - لبنان.
- (٣٦) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، دار إحياء التراث العربي.
- (٣٧) العبودية: أحمد بن عبد العليم بن عبد السلام بن تيمية تقي الدين أبو العباس (٧٢٨هـ)، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، تقدم عبد الرحمن الباني. تحقيق: محمد زهير شاويش.
- (٣٨) عيون الأخبار: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد (ت ٢٧٦هـ)، دار الكتب المصرية.
- (٣٩) الفروق اللغوية: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة.
- (٤٠) فضائل القرآن: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- (٤١) فيض القدير شرح الجامع الصغير: محمد بن عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة - بيروت، لبنان.
- (٤٢) الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي أبو بشر الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- (٤٣) كتاب الزهد: وكيع بن الجراح (ت ١٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الغريوائي، مكتبة الدار.
- (٤٤) لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: (ت ٩١١هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
- (٤٥) لسان العرب: محمد بن مكرم علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي: (ت ٧١١هـ)،

دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة.

- (٤٦) اللمع البهية في قواعد اللغة العربية: محمد محمود عوض الله، دار الأرقم، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- (٤٧) المجتمع المتكافل في الإسلام: عبد العزيز الحياط، الطبعة الثالثة: دار السلام، ١٩٨٦م.
- (٤٨) مجموعة الأربعين أربعين من أحاديث سيد المرسلين: يوسف بن إسماعيل النبهان، مصطفى بابي الحلبي (١٣٣٠هـ).
- (٤٩) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، عثمان بن جني أبو الفتح الموصلبي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلي، الطبعة الثانية.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي أبو محمد (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- (٥٠) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- (٥١) مسند الإمام أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال ابن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- (٥٢) معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلي، عالم الكتب ١٤٠٨ - ١٩٨٨م.
- (٥٣) المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني أبو القاسم (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية.
- (٥٤) المعجم الوسيط: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار الحرمين، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- (٥٥) مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.
- (٥٦) المختضب: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي: أبو العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ)، عالم الكتب، بيروت.
- (٥٧) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١: ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- (٥٨) الموطأ: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي الحميري المدني (ت ١٧٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مصطفى بابي الحلبي، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
- (٥٩) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الرازي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- (٦٠) النشر في القراءات العشر: محمد بن محمد ابن الجزري (ت ٧٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- (٦١) وجوب العمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وكفر من أنكرها: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية، الرياض - المملكة العربية السعودية.